حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

فصلية علمية محكمة - تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

التصحيف والتحريف
دراسة في التغير الدلالي

د. فاطمة إبراهيم آل خليفة

قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب
جامعة الكويت

مجلس
النشر
العلمي

ISSN: 1560 - 5248

لرسالة ٢٣٣ - الحولية ٢٦

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م (سبتمبر)

الرسالة ٢٣٣

التصحيف والتحريف
دراسة في التغير الدلالي

د. فاطمة إبراهيم آل خليفة
قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب
جامعة الكويت

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية - الحولية السادسة والعشرون - ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

المؤلفة:

د. فاطمة إبراهيم آل خليفة

- دكتوراه في علم اللغة – جامعة لندن عام ١٩٨٤.
- عضو هيئة التدريس بقسم اللغة العربية وآدابها – كلية الآداب – جامعة الكويت.

الإنتاج العلمي:

الكتب:

١ – دراسة حول التنغيم في لهجات البدو في الكويت. مركز التراث الشعبي – ١٩٩٢، قطر.

٢ – لغة التقارير الرسمية. دار قرطاس، ١٩٩٥، الكويت.

البحوث:

١ – «التغيير اللغوي في الشعر النبطي» في كتاب تراث البادية. التقدم العلمي، ١٩٨٩، الكويت.

٢ – بحث باللغة الإنجليزية بعنوان: Computer - Aded Comparative Study of Stress in Modern Standard Arabic. المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلد ٩، عدد ٣٤، ١٩٨٩، الكويت.

٣ – «الاتصال اللغوي في الكويت أثناء الاحتلال العراقي»، مجلة كلية التربية، القسم الأدبي، المجلد السادس، العدد ٣، جامعة عين شمس، ٢٠٠٠ مصر.

٤ «الخصائص التنغيمية في بعض أحاديث طه حسين»، مجلة رسالة المشرق، المجلد ١٠، عدد من ١-٤، ٢٠٠١، مصر.

المحتوى

- الملخص ١١
- المقدمة ١٣
- هوامش المقدمة ١٩
- الفصل الأول ٢١

أولاً: التصحيف والتحريف في كتب المعاجم اللغوية ٢٣

المبحث الأول: مادة صحف ٢٣

المبحث الثاني: مادة حرف ٣٠

هوامش الفصل الأول ٣٩

- الفصل الثاني: التصحيف والتحريف عند المفسرين والمحدّثين ٤١

المبحث الأول: التصحيف والتحريف في كتب التفسير ٤٣

المبحث الثاني: التصحيف والتحريف عند المحدّثين ٤٦

هوامش الفصل الثاني ٥١

- الفصل الثالث: كتب اصطلاحات الفنون وكتب التصحيف والتحريف ٥٣

المبحث الأول: التصحيف والتحريف في الكتب ٥٥

١ – الراغب الأصفهاني في معجم مفردات القرآن الكريم ٥٥

٢ – الجرجاني في كتابه التعريفات ٥٥

٣ – كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٥٦

المبحث الثاني: التصحيف والتحريف في الكتب المخصصة للحديث عنهما .. ٥٨

– المقدمة ٥٨

١ – حمزة بن الحسن الأصفهاني في كتابه «التنبيه على حدوث التصحيف» ٥٨

٢ – العسكري من خلال كتابيه «شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف» و«تصحيفات المحدّثين» ٦٠

٣ – الصفدي في كتابه «تصحيح التصحيف وتحرير التحريف» ٦٢

هوامش الفصل الثالث ... ٦٥
- الفصل الرابع: التصحيف والتحريف عند اللغويين والأدباء والمحققين . ٦٧
المبحث الأول: التصحيف والتحريف عند اللغويين والأدباء ٦٩
- ابن جني في الخصائص ٦٩
- ابن الجوزي في كتابه «أخبار الحمقى والمغفلين» ... ٧٠
- السيوطي في كتابه المزهر ٧١
المبحث الثاني: التصحيف والتحريف في كتب تحقيق النصوص ٧٣
- عبدالسلام هارون في كتابه تحقيق النصوص ونشرها ٧٣
- د. نوري حمودي القيسي ود. سامي مكي العاني في كتابهما «منهج تحقيق النصوص ونشرها» ٧٤
- د. عبدالمجيد دياب في كتابه «تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره» .. ٧٤
- د. رمضان عبدالتواب في كتابه «مناهج تحقيق التراث بين القدماء والمحدثين» ٧٤
- د. محمود محمد الطناحي في كتابه «مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي» ٧٥
هوامش الفصل الرابع ٧٧
- الخاتمة ٧٩
- المصادر ٨١

الملخــص

يتناول هذا البحث دراسة مصطلحين من مصطلحات الثقافة العربية، هما التصحيف والتحريف عند اللغويين والمفسرين والمحدّثين، وكذلك في كتب اصطلاحات الفنون وكتب التصحيف والتحريف.

فهناك صلة بين المصطلحين، مما حدا ببعض العلماء أن يجمع بينهما في مؤلف واحد. وهذان المصطلحان يرجعان إلى الخطأ في قراءة النص المكتوب لتغيير أماكن الحروف وأشكالها، وكذلك إلى التغيير في النقط أو ضبط البنية.

هذه هي أنواع التغيير الذي يحدث في نطق الكلمة العربية المكتوبة، التي دعت القدماء منذ زمان طويل للبحث عن أسبابها وطرق علاجها. وقد أرجع الدارسون أسباب هذه الأخطاء إلى عدة عوامل، منها:

تشابه الحروف في الخط العربي، وعدم الانتباه من واضع النقاط لوضع آلية محددة للذي يأتي بعده، وكان من الحكمة أن يضع لكل حرف صورة مختلفة عن الآخر، لأن هذه الأخطاء سببها النسخ والفهم المختلف للناسخ، ذلك الذي قد يخالف ما يقصده المؤلف.

كما اهتم العلماء بالبحث عن علاج هذه المشكلة، حيث انتهت آراؤهم إلى أن أنجع علاج لظاهرة التصحيف والتحريف هو:

- ضبط الكتابة العربية بالنقط والشكل.
- ضرورة المشافهة في رواية اللغة.
- تنقيح الأخطاء وجمعها في كتب.
- ضبط كتابة الحروف بصورة تنفي عنها الاحتمال.

وأخيراً وبعد أن تتبعنا تطور المعنى الدلالي لهاتين الكلمتين في البيئات المختلفة التي تمثل حقل البحث وجدنا تبايناً واضحاً إلى حد ما، في آراء العلماء؛ حيث يخلطون في الدلالة بين التصحيف والتحريف ويجعلونهما بمعنى واحد. ولكن ابن حجر حسم المشكلة ففرق بين معنييهما، فجعل التصحيف خاصاً بتغيير النقط، والتحريف خاصاً بتغيير شكل الحروف.

المقدمة

هذه دراسة لمصطلحين من مصطلحات الثقافة العربية، وهما التصحيف والتحريف، وقد تتبعنا هاتين المادتين من خلال المعاجم اللغوية على اختلاف عصورها، ومن خلال القرآن الكريم، وكتب الحديث الشريف، ومن خلال الكتب التي تهتم بمصطلحات الفنون المختلفة والكتب المخصصة للحديث عن التصحيف والتحريف، وكتب تحقيق النصوص التي اهتمت بالحديث عن هذين المصطلحين.

وبين المصطلحين صلة وثيقة؛ ولهذا جمع بعض العلماء بينهما في مؤلف واحد، ولعل أول من فعل هذا أبو أحمد العسكري ت٣٨٢هـ في كتابه شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، لكنه مع هذا أفرد التصحيف بكتب أخرى، فله كتاب: تصحيفات المحدثين، وله كتاب: أخبار المصحفين. وفرّق كثير من العلماء بينهما فأفردوا كتباً للتصحيف كحمزة الأصفهاني مثلاً في كتابه: التنبيه على حدوث التصحيف.

والمصطلحان يرجعان إلى الخطأ في قراءة النص المكتوب، هذا الخطأ يرجع إلى تغيير الحروف أو تغيير شكلها أو تغيير مكانها.. هذا وقد أشار بعض الباحثين إلى أنواع الخطأ التي يمكن أن تقع في قراءة الكلمة العربية.

تغيير في النقط		تغيير في الحركات		تغيير في الحروف		تغيير في الإعراب
الكلمة	مقابلها	الكلمة	تغييرها	الكلمة	تغييرها	﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾
النوم	الثوم	جُمْهور	جَمْهور	الماظ	الماس	ورسولُهُ – ورسولِهِ

هذه هي أنواع التغيير التي يمكن أن تحدث في نطق الكلمة العربية المكتوبة(١) والمهم أن هذه الآفة (هذين المصطلحين) أصابت تراثنا. ودعت القدماء منذ زمان طويل للبحث عن سببها وطرق علاجها. وقد انتهى الدارسون إلى أن لها أسباباً عدة، لعل أهمها: الخط العربي وتشابه كثير من حروفه في الرسم: ب ت ث ن – د ذ ر ز ج

ح خ وهكذا، ولهذا قال حمزة الأصفهاني: إن الذي أبدع صور حروف الكتابة العربية لم يضعها على حِكْمَةٍ، ولا احتاط لمن يجيءُ بعده، وذلك أنه وضع لخمسة أحرف صورة واحدة وهي (الياء والباء والثاء والتاء والنون) وكان وجه الحكمة فيه أنه يضع لكل حرف صورة مباينة للأخرى حتى يؤمن عليه التبديل(٢) ولذا أوجب العلماء الأخذ من أفواه الشيوخ – وعدم الأخذ من الصحف مباشرة. ومن أسبابها أيضاً – وإن كان أقل أهمية من سابقه – أخطاء النسخ والفهم، فقد يفهم أحد القراء فهماً خاصاً، يخالف ما يريده المؤلف.. ولذلك نجد في كتب التصحيف نماذج كثيرة لتصحيفات العلماء(٣).. وكما اهتم العلماء بالبحث عن أسبابها فقد اهتموا أيضاً بالبحث عن علاجها. وقد انتهت آراؤهم إلى أن أنجع علاج لظاهرة التصحيف والتحريف هو:

- ضبط الكتابة العربية بالنقط والشكل.
- ضرورة المشافهة في رواية اللغة.
- تنقية الأخطاء بجمعها في مؤلفات(٤).
- ضبط العبارة بوصف الحروف بصورة تنفي عنها الاحتمال فيقال مثلاً: العتب، بالعين المهملة والتاء الفوقية والباء الموحدة وبهذا لا تصحف بالغيب مثلاً. ومع أن كثيراً من القدماء – كما سبق – لم يفرقوا بينهما، فإن الدارسين في العصر الحديث قد استقر الرأي بينهم على التفريق بينهما.

وقالوا: إن التصحيف تغيير نقط الحروف المتماثلة في الشكل: الباء – التاء – الثاء – النون – الياء – الجيم – الحاء – الخاء – الدال – الذال – الراء – الزاي – السين – الشين – الصاد – الضاد – الطاء – الظاء – العين – الغين – الفاء – القاف.

أما التحريف فهو تغيير شكل الحروف المتشابهة في الرسم: الدال – الراء – الدال – اللام(٥). ولأهمية هذين المصطلحين اهتم بهما القدماء وألفوا فيهما. ولعل أقدم من ألف فيهما ابن قتيبة ت٢٧٦هـ فله كتاب أسماه تصحيف العلماء. لكنه لم يصل إلينا.

وجاء بعده أبو بكر الصولي ت٣٣٥هـ فصنف كتاباً أسماه: ما صحف فيه الكوفيون، لكنه لم يصلنا أيضاً.

وجاء بعدهما حمزة بن الحسن الأصفهاني ت٣٦٠هـ وله كتاب أسماه: التنبيه على حدوث التصحيف[٦].

وجاء بعده علي بن حمزة البصري ت٣٧٥هـ بكتابه التنبيهات على أغاليط الرواة، وقد نشره عبدالعزيز الميمني في القاهرة ١٩٦٧م.

ثم صنف أبو أحمد العسكري ت٣٨٢هـ كتباً كثيرة منها: شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، وقد حققه عبدالعزيز أحمد وطبع في القاهرة عام ١٩٦٣م.

والثاني تصحيفات المحدثين وقد حققه الدكتور محمود ميرة، ونشره في القاهرة عام ١٩٨٢م.

والثالث: أخبار المصحفين، ونشره إبراهيم صالح في دمشق عام ١٩٩٥م.

وقد اقتضت الدراسة أن تجيء في أربعة فصول مسبوقة بمقدمة متلوة بخاتمة.

الفصل الأول: جاء في مبحثين درست الباحثة التصحيف في أحدهما والتحريف في الآخر: ودرست فيه المادة وصيغها ومعانيها من خلال معاجم العربية وهي مصادر ثرية بما فيها، وقد رجعت إلى مجموعة منها، ملتزمة مبدأ التسلسل التاريخي والترتيب الزمني لكي يتسنى لها رصد مسار المادة. وهذه هي المصادر في هذا الفصل من الدراسة:

العين	للخليل بن أحمد	ت١٧٥هـ
الجمهرة	لابن دريد	ت٣٢١هـ
التهذيب	للأزهري	ت٣٧٠هـ
معجم مقاييس اللغة	لابن فارس	ت ٣٩٥هـ
الصحاح	للجوهري	ت في حدود الأربعمائة

المحكم والمحيط الأعظم	لابن سيده	ت٤٥٨هـ
أساس البلاغة	للزمخشري	ت٥٣٨هـ
التكملة والذيل والصلة	للصاغاني	ت٦٥٠هـ
اللسان	لابن منظور	ت٧١١هـ
القاموس المحيط	للفيروزآبادي	ت٨١٧هـ
التاج	للزَّبيدي	ت١٢٥٠هـ
المعجم الوسيط	من عمل المجمع اللغوي بالقاهرة	

وبعد الانتهاء من رصد المادة وصيغها والتعليق عليها جاء:

الفصل الثاني: وقد حاولت الباحثة فيه معرفة المعنى الدلالي لهذين المصطلحين عند المفسرين وعند المحدّثين من خلال مجموعة من التفاسير التي تهتم بالجانب النحوي واللغوي للقرآن، وقد وردت صيغ قريبة من مادة حرف لفظاً ومعنى فجاءت كلمة «يُحَرِّفون» مكررة في القرآن في أكثر من آية، وقد رجعنا إلى هذه الكتب لمعرفة دلالة هذه الكلمة:

- معاني القرآن للأخفش ت ٢١٥هـ
- تفسير الطبري ت ٣١٠هـ.
- إعراب القرآن للنحاس ت ٣٣٨هـ
- البيان في غريب إعراب القرآن للأنباري ت ٥٧٧هـ
- الكشاف للزمخشري ت ٥٣٨هـ.
- البحر المحيط لأبي حيان ت ٧٤٥هـ.

وكذلك عند علماء الحديث الذين اهتموا بصواب الكلام لحفظ حديث رسول الله ﷺ وقد اهتم المحدّثون اهتماماً كبيراً بهذين المصطلحين حفاظاً على ألفاظ الحديث أن يَمَسَّها تغييرٌ، وقد تناولنا من كتب الحديث:

١ - معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري ت ٤٠٥هـ.

٢ – مقدمة ابن الصلاح ت ٦٤٣هـ.

٣ – الباعث الحثيث لابن كثير ت ٧٧٤هـ.

٤ – نزهة النظر لابن حجر ت ٨٥٢هـ.

٥ – تدريب الراوي للسيوطي ت ٩١١هـ.

ثم جاء **الفصل الثالث** عن التصحيف والتحريف في الكتب المخصصة لاصطلاحات الفنون المختلفة وكتب التصحيف والتحريف، وجاء في مبحثين:

المبحث الأول ومراجعه كما يلي:

١ – مفردات ألفاظ القرآن	للراغب الأصفهاني ت ٥٠٣ هـ
٢ – التعريفات	للجرجاني ت ٨١٦ هـ
٣ – كشاف اصطلاحات الفنون	للتهانوي ت ١١٥٨ هـ

أما المبحث الثاني فقد تناولت الباحثة فيه التصحيف والتحريف في الكتب المخصصة لهذين المصطلحين، وهي على الترتيب:

– التنبيه على حدوث التصحيف	للأصفهاني ت ٣٦٠ هـ
– تصحيفات المحدثين	للعسكري ت ٣٨٢ هـ
– شرح ما يقع فيه التصحيف	للعسكري ت ٣٨٢ هـ
– تصحيح التصحيف وتحرير التحريف	للصفدي ت ٦٧٤ هـ

ثم جاء **الفصل الرابع** بعنوان التصحيف والتحريف عند اللغويين والمحققين: وجاء في مبحثين، **الأول منهما**:

١ – الخصائص	لابن جني ٣٩٢ هـ.
٢ – أخبار الحمقى والمغفلين	لابن الجوزي ٥٩٧ هـ.
٣ – المزهر	للسيوطي ٩١١ هـ

أما المبحث الثاني فجاء بعنوان «التصحيف والتحريف في كتب تحقيق النصوص» وهي على الترتيب:

١ - تحقيق النصوص ونشرها	للأستاذ عبدالسلام هارون
٢ - منهج تحقيق النصوص ونشرها	د. نوري حمودي القيسي، وسامي مكي العاني
٣ - تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره	د. عبدالمجيد دياب
٤ - مناهج تحقيق التراث بين القدماء والمحدثين	د. رمضان عبدالتواب
٥ - مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي	د. محمود الطناحي

ثم جاءت الخاتمة وقد تحدثت فيها الباحثة عن اختلاف دلالة هذين المصطلحين في العلوم التي درست ككتب التفسير، وكتب الحديث، وكتب المعاجم والكتب المخصصة لاصطلاحات الفنون، والكتب المخصصة للتصحيف والتحريف....

هوامش المقدمة

١ – محمد عيد، في اللغة ودراستها، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٤م، ص١٠٦، بتصرف بسيط.

٢ – الأصفهاني، التنبيه على حدوث التصحيف، تحقيق السيد الشرقاوي، مراجعة رمضان عبدالتواب، القاهرة، ١٩٨٧م.

٣ – راجع مثلاً أخبار المصحفين للعسكري والتنبيهات على أغاليط الرواة لعلي بن حمزة البصري...

٤ – محمد عيد، في اللغة ودراستها، ص١٢١.

٥ – رمضان عبدالتواب، مناهج تحقيق التراث، القاهرة ١٩٨٢م، ص١٢٧ وما بعدها.

٦ – حققه محمد حسن آل يسين، وأعاد نشره محمد أسعد طلس.

الفصل الأول

أولاً: التصحيف والتحريف في كتب المعاجم اللغوية

- المبحث الأول: مادة صحف.
- المبحث الثاني: مادة حرف.

الفصل الأول

أولاً: التصحيف والتحريف في كتب المعاجم اللغوية

المبحث الأول: مادة صحف

الخليل بن أحمد (١٠٠هـ - ١٧٥هـ) - العين

قال الخليل: الصحف: جمع الصحيفة، يخفّف ويثقّل، مثل سفينة وسفن، نادرتان، وقياسه صحائف وسفائن. وصحيفة الوجه: بَشْرَةُ جِلْدِهِ، قال: إذا بَدَا مِنْ وَجْهِكَ الصَّحِيفَ.

وسُمِّيَ المُصْحَفُ مُصْحَفاً، لأنَّهُ أُصْحِفَ، أي جُعِلَ جامعاً للصُّحُفِ المكتوبة بين الدَّفَّتين. والصَّحْفَةُ: القصعة المُسْلَنْطِحَة العريضة. وجمعه صحاف. والصَّحفي: المصحف وهو الذي يروي الخطأ عن قراءة الصحف بأشباه الحروف[١].

هذه هي مادة صحف في المعجم الأول للعربية. والملاحظ على هذه المادة في المعجم الأول قلة معانيها فالصحيفة المعروفة، وبشرة الوجه، والصحفة القصعة والمصحف، والصحفي، هذه - فقط - هي المعاني الموجودة في معجم العين، وقلة هذه المعاني بالنسبة لمادة صحف ملاحظة مشتركة في بقية المعاجم التي سنتكلم عنها إن شاء الله.

وعلى الرغم من قلة هذه المعاني وأنها تبدو متباعدة لا علاقة بينها فإن العلاقة بينها قائمة، فالجامع بينها هو دلالتها على الانبساط في الشيء والسَّعَةِ.

وما يهم من كلام الخليل هو الصَّحفي حيث ذكر أنه المُصَحِّف الذي يروي الخطأ عن قراءة الصحف بأشباه الحروف، والملاحظ أن الخليل - رحمه الله - لم يذكر الفعل الذي اشتق منه الصَّحفي وهو «صحّف»، ولم يذكر أيضاً المصدر «التصحيف»، كما أن الخليل لم يحدد نوع الخطأ في قراءة الصحف هل هذا الخطأ بتغيير النقط أو بتغيير الحرف.

بقي القول: إن تعريف الخليل للمصحف أخذه عنه أصحاب المعاجم من بعده ولم يزيدوا عليه إلا كلمة «مولّدة».

ابن دريد ٣٢١هـ في جمهرة اللغة:

قال ابن دريد في مادة «صحف»: الصُّحف واحدتها صحيفة وهي القطعة من أدم أبيض أو ورق يكتب فيه، وتجمع صَحَائِف وربما جمعوا الصحيفة صِحَافاً، والصَّحْفَةُ: القصعة وتجمع «صحافاً» قال الشاعر:

وَبَنُو نَكْدٍ قُعُودُ يَتَعَاطَوْنَ الصِّحَافَا

والمِصْحَفُ بكسر الميم لغة تميمية، لأنه «صحف» جُمِعَتْ فأخرجوه مُخْرَجَ مِفْعَل مما يتعاطى باليد، وأهل نجد يقولون: المُصْحَفُ بضم الميم لغة علوية، كأنهم قالوا: أصحف فهو مصحف إذا جُمِعَ بعضُه إلى بعضٍ(٢).

هذا هو نص ابن دريد والملاحظ أنه لم يذكر شيئاً عن الصحفي أو المصحّف رغم أن المعاني والمشتقات التي ذكرها هي نفسها المعاني والمشتقات عند الخليل بن أحمد إلا أنه أغفل تعريف الخليل للصحفي والمصحّف.

الأزهري ٣٧٠ هـ في التهذيب:

قال في مادة صحف: الصحف: جماعة الصحيفة، وهذا من النوادر أن تجمع فعيلة على فعل، وصحيفة الوجه بشرة الجلد، وقال الليث: الصحيفة شبه قصعة مسلنطحة.

وقال الليث: والذي يروي الخطأ على قراءة الصحف هو المُصَحِّفُ والصحفي(٣).

هذه هي مادة صحف كما وردت في التهذيب والملاحظ أن المعاني والمشتقات هي هي التي ذكرها الخليل، ولم يضف شيئاً.

ابن فارس ٣٩٥ هـ في كتابه المقاييس:

قال في مادة صحف: الصاد والحاء والفاء أصل صحيح يدل على انبساط في شيء وسعة. يقال إنّ الصّحيف وجه الأرض. والصحيفة: بشرة وجه الرجل، قال البعيث:

وكُلُّ كُلَيْبِيٍّ صَحِيفَةُ وَجْهِهِ　　أَذَلُّ لأَقْدَامِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعْلِ

ومن الباب: الصَّحيفة، وهي التي يكتب فيها، والجمع صحائف، والصُّحف أيضاً، كأنه جمع صحيف. قال:

لَمَّا رَأَوا غَدْوَةً جِبَاهَهُمْ　　حَنَّتْ إِلَيْنَا الأَرْقَامُ وَالصُّحُفُ

والصَّحفة القصعة المُسْلَنْطِحَةُ. وقال الشيباني: الصِّحَافُ مَنَاقِعُ صِغَار تتّخذ للماء، الجمع صحف(٤).

هذه هي مادة صحف في كتاب المقاييس. ولم يضف ابن فارس شيئاً إلى كلام الخليل إلا قوله: يقال إن الصحيف وجه الأرض. هذا هو المعنى الجديد الذي ظهر عنده ولم يظهر عند من سبقه، إضافة إلى نقله عن الشيباني أن الصحاف مناقع صغار تتخذ للماء.

والملاحظة الأخرى أن ابن فارس لم يذكر شيئاً عن الصحف والمصحف والتصحيف، كما فعل ابن دريد في جمهرته.

الجوهري (٣٢٢هـ - ٣٩٨هـ) في الصحاح:

قال في مادة صحف: الصحفة كالقصعة، والجمع صحاف والصحيفة الكتاب، والجمع صحف وصحائف، والمصحف قال الفراء: وقد استثقلت العرب الضمة في حروف فكسروا ميمها وأصلها الضم من ذلك مصحف لأنها في المعنى مأخوذة من أصحف أي جعلت فيه الصحف، والتصحيف الخطأ في الصحيفة(٥).

هذا كلام الجوهري ولأول مرة نجد مصدر صحّف وهو التصحيف: الخطأ في الصحيفة، إلا أن الجوهري لم يذكر المشتقات الأخرى لهذا المصدر الصَّحَفي والمصحَف، وصحّف.

كما أنه لم يحدد لنا نوع هذا الخطأ، هل هو خطأ بتغيير النقط، أو بتغيير شكل الحرف وصورته....

المحكم لابن سيده (٣٩٨هـ – ٤٥٨هـ):

مادة صحف: أورد المعاني والمشتقات المختلفة ثم قال: والمصحّف والصّحفي: الذي يروي الخطأ عن قراءة الصحف باشتباه الحروف – مولدة.

ولم يزد ابن سيده على كلام الخليل إلا قوله: صحيفة الوجه بشرة جلده، وقيل: هي ما أقبل عليك منه، والجمع صحيف وقد اكتفى بنقل تعريف الخليل للمصحّف والصحفي وزاد «مولّدة»[٦].

أساس البلاغة:

قال الزمخشري (٤٦٧هـ – ٥٣٨هـ) في مادة «صحف»:

«معه صحيفة وصحف وصحائف وهي قطعة من جلد أو قرطاس يكتب فيه، وهو صحفي وصحّاف. وهو لحانة مصحّف. وصحّف الكلمة. ووجهه كورقة المصحف وتقول: صحائف الكتب خير من صحاف الذهب. والصَّحْفَةُ القصْعَةُ المُسْلَنْطِحَةُ. ومن المجاز صُنْ صحيفة وجهك وهي بشرته»[٧].

هذا ما قاله الزمخشري في أساس البلاغة، ويلاحظ على كلامه ظهور مشتقات جديدة كقوله: «هو صحفي وصحّاف، لحانة مصحف، وصحف الكلمة» إلا أنه كغيره لم يحدّدْ نوعَ هذا التصحيف. بل إنّه لم يذكر معنى صحّف الكلمة.

التكملة والذيل:

قال الصاغاني في مادة صحف:

الصّحيفة: وجه الأرض. وقال الشيباني: الصّحاف: مَنَاقِعُ صِغَارٌ تتخذ للماء، والجماع صحف.

والذي يقرأ الصّحيفة ويخطئ في القراءة ويصحّف: صحفيّ بالتحريك. وقول العامة صحفي: بضمتين لحن. والنسبة إلى الجمع نسبة إلى الواحد، لأن الغرض الدلالة على الجنس، والواحد يكفي في ذلك... ح – ثعلب: المصحف: بالفتح لغة صحيحة فصيحة في المصحف والمصحف[٨].

وقد حدد الصاغاني كلمة الصحفي بقوله: الذي يقرأ الصحيفة ويخطئ في القراءة ويصحف، أي حدد هذا الخطأ بالقراءة فقط، فماذا لو نقل من صحيفة إلى أخرى وأخطأ كتابة؟ كما أنه أيضاً لم يحدد لنا نوع هذا الخطأ وقد نص على أن قول العامة صحفي بضمتين لحن.

ابن منظور (٦٥٠هـ - ٧١١هـ) في لسان العرب:

مادة صحف:

قال ابن منظور بعد أن أورد المعاني والمشتقات المختلفة للمادة من صحيفة وصحيف ومُصْحَفٍ ومُصَحَّفٍ.

والمُصَحِّفُ والصُّحُفِيُّ: الذي يروي الخطأ عن قراءة الصحف بأشباه الحروف. مولدة، والتصحيف الخطأ في الصحيفة.

لم يزد ابن منظور على كلام الخليل إلا كلمة «مولدة»، كما أن تعريفه للتصحيف بأنه الخطأ في الصحيفة تعريف عام؛ ما نوع هذا الخطأ؟ وما صوره؟ وَلِمَ خُصَّ الخطأ في الصحيفة دون غيرها؟...

الفيروزآبادي (٧٢٩هـ - ٨١٦هـ) في القاموس المحيط:

مادة صحف:

قال الفيروزآبادي بعد أن أورد المعاني المكررة لمادة صحف: والتصحيف الخطأ في اللغة، وقد تَصَحَّفَ عليه، والصحفي محركة من يخطئ في قراءة الصحيفة وبضمتين لحن.

وقد ذكر أن التصحيف الخطأ في اللغة ولم يحدد نوع هذا الخطأ نحوي أو صرفي أو لغوي أو إملائي، كما أنه لم يذكر معنى «تصحف عليه» هل معناها أشكل عليه وما نوع هذا الإشكال؟...

الزبيدي (١٢٠٥هـ) في تاج العروس:

مادة صحف:

قال في مادة صحف (الصَّحفة م) معروفة والجمع صحاف، قال الأعشى:

وَالمَكَاكِيكُ وَالصِّحَافِ مِن الْفِضَّـــــةِ وَالضَّامِزاتِ تَحْتَ الرِّجَالِ

والصحيفة الكتاب ج صحائف على القياس وصحف ككتب، ويخفف أيضاً وهو نادر، وقال الشيباني: الصحاف ككتاب مناقع صغار تتخذ للماء ج صحف، والصحفي محركة من يخطئ في قراءة الصحيفة، والمصحف مثلثة الميم عن ثعلب قال: والفتح لغة فصيحة، وقال أبو عبيد: تميم تكسرها وقيس تضمها.

والتصحيف الخطأ من الصحيفة بأشباه الحروف مولدة، وقد تصحف عليه لفظ كذا ومما يستدرك عليه صحيفة الوجه: بَشَرَةُ جلدِهِ وقيل: هي ما أقبل عليك منه والجمع صحيف وهو مجاز، والصحّاف كشداد بائع الصحف أو الذي حفر الأرض بالمصحفة.

هذا كلام الزبيدي في تاج العروس. وما زلنا نسير مع المعاجم الواحد تلو الآخر دون أن نجد أي تغيّر في معنى التصحيف بل يكتفي كل واحد منهم بالنقل عمن سبقه، وما زال كلام الخليل ينقل بحروفه حتى يصل إلى الزبيدي ١٢٠٥هـ.

ويبدو أنه اكتفى بالنقل من سابقه «الفيروزآبادي» فلم يجدد هو الآخر معنى تصحف عليه.

ولم يظهر عنده معنى جديد إلا الصحّاف: بائع الصحف أو الذي حفر الأرض بالمصحفة.

المعجم الوسيط – مادة صحف:

صَحَّفَ الكلمة: كتبها أو قرأها على غير صحتها؛ لاشتباه في الحروف. وتَصَحَّفَتِ الكلمةُ أو الصحيفة: تغيرتْ إلى خطأ. والصحافة: مهنة من يجمع الأخبار والآراء وينشرها في صحيفة أو مجلة. محدثة، والصَّحّاف: من يصنع الصِّحاف ومن يشتغل ببيعها.

والصَّحَفِيُّ من يأخذ العلم من الصحيفة لا عن أستاذ، ومن يزاول حرفة الصّحافة (محدثة).

والصحيفة ما يكتب فيه من ورق ونحوه، وإضمامة من الصفحات تصدر يومياً أو في مواعيد منتظمة بأخبار السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة وما يتصل بذلك، محدثة.

هذه هي المادة بصيغها ومشتقاتها الحديثة، والملاحظة الأولى اهتمام المعجم بالكلمات المحدثة التي تواكب العصر من صحافة وصحفي – من يزاول حرفة الصحافة، وصحيفة بمعنى مجلة.

ونأتي إلى ما يهمنا فنلاحظ اختفاء الصحفي الذي يخطئ في قراءة الصحيفة – بحسب كلام السابقين – كما أننا نلاحظ ظهور معنيين جديدين – لم يذكرهما السابقون – وهما الصحفي من يأخذ العلم من الصحيفة، ومن يزاول حرفة الصحافة.

كما أننا نلاحظ نوعاً من التحديد في معنى صحّف الكلمة، وأقصد بهذا التحديد كلمة كتبها التي كنا نفتقدها في المعاجم السابقة إلا أننا نفاجأ بنوع من الإبهام في كلمة على غير صحتها ما المقصود بهذا المعنى العام؟!

وكذا في تعبير «تغيرت إلى خطأ»، ما صورة هذا التعبير؟ وما نوع الخطأ الذي أدى إليه هذا التغيير؟!

ويبدو أن المعجم أغفل «التصحيف» المصدر من صحّف، مثلما أغفل المصحّف من يقوم بالتصحيف، كما أنه أغفل أيضاً «تصحف عليه لفظ كذا».

بعد هذه الجولة بين مادة صحف في المعاجم القديمة والحديثة نجمل ما قلناه في الآتي:

١ – لم تحدد لنا المعاجم - على اختلاف عصورها – نوع الخطأ الذي يؤدي إلى التصحيف، كما أنها أغفلت صور هذا الخطأ.

٢ – كما أن هذه المعاجم اكتفت بتعريف التصحيف بأنه الخطأ في الصحيفة أو اللغة أو التغيير إلى خطأ.

٣ – وردت صيغة «تصحف عليه» دون أن يذكر لها أي معنى.

٤ – أغفل المعجم الوسيط تعريف التصحيف، كما أنه أسقط لفظ المصحف: الذي يروي الخطأ عن الصحيفة.

٥ – كما أننا لاحظنا قلة المعاني لهذه المادة التي تدور حول المصحف المعروف، والصحيفة بمعنى القصعة، والصحيفة التي يكتب فيها، وصحيفة الوجه بشرة جلده.

٦ – لم يذكر أحد من أصحاب المعاجم التصحيف على النحو الذي قرره ابن حجر والذي فرق فيه بين التصحيف كتغيير في النقط دون شكل الحرف. وبين التحريف بمعنى تغيير صورة الحرف.

المبحث الثاني: مادة حرف

الخليل بن أحمد في كتابه (العين):

يقول الخليل في مادة «حرف»: «الحرف: من حروف الهجاء. وكلّ كلمة بنيت أداةً عاريةً في الكلام لتفرقة المعاني تسمّى حرفاً، (...) وكل كلمة تقرأ على وجوه من القرآن تسمّى حرفاً» يقال: يقرأ هذا الحرف في حرف ابن مسعود أي في قراءته. والتحريف في القرآن: تغيير الكلمة عن معناها، وهي قريبة الشبه، كما كانت اليهود تغير معاني التوراة بالأشباه فوصفهم الله بفعلهم فقال: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ (النساء، من الآية ٤٦، والمائدة من الآية ١٣).

وتحرّف فلان عن فلان، وانحرف، واحرورف واحد، أي: مال.

والإنسان يكون على حرف من أمره، كأنه ينتظر، ويتوقع. فإن رأى من ناحية ما يحب، وإلا مال إلى غيرها. وحرف السفينة: جانب شقّها. والحرف: الناقة الصّلبة تشبه بحرف الجبل. قال الشاعر: (هو ذو الرمّة)

جُمَالِيَّةٌ حَرْفٌ سِنَادٌ يَشُلُّهَا وَظِيفٌ أَزَجُّ الْخَطْوِ رِيَانُ سَهْوُ

والحرف حب كالخردل، والحبة منه حرفة، والمُحَارَفة: المقايسة بالمِحْراف، وهو الميل تُسْبَر به الجراحات، والمحارف: المحروم المدبر»(٩).

هذه هي مادة (ح ر ف) في المعجم الأول للعربية. والملاحظة الأولى كثرة المعاني

لهذه المادة - بالنسبة لمادة صحف - فحرف الهجاء، والحرف عند النحاة، وحرف ابن مسعود أي قراءته وإنسان على حرف من أمره أي جانب، وحرف السفينة، والحرف الناقة...

والملاحظة الثانية: أن الخليل ذكر معنى التحريف إلا أنه خص هذا التحريف بالقرآن فقط، كما أنه عرّفَ التحريف في القرآن بأنه تغيير الكلمة عن معناها - وليس تغيير صورة الكلمة - واستشهد على ذلك بقوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾.

الملاحظة الثالثة: غابت عنه - رحمه الله - مشتقات لها صلة بالتحريف بمعنى تغيير الكلمة، من هذه المشتقات تحريف القلم أي قطُّهُ محرفاً.

الملاحظة الرابعة: وجود تشابه كبير بين التحريف بمعنى التغيير وبين كثير من مشتقات هذه المادة فـ «تحرف عن فلان وانحرف واحرورف بمعنى مال، وفلان على حرف من أمره فإن رأى من ناحية ما يحب مال إليها»، هذه المشتقات قريبة الشبه من التحريف بمعنى التغيير.

أما بقية المشتقات فلا علاقة لها بالتحريف، كالحرف الناقة الضامر، والحرف حبّ الخردل.

وقال ابن دريد في مادة ح ر ف:

حرف كل شيء: حدّه وناحيته، وناقة حرف ضامر، وفلان على حرف من هذا الأمر أي منحرف عنه مائل، وانحرفت عن الشيء انحرافاً إذا ملت عنه والحرفة المكسب والطعمة حرفة فلان من كذا وكذا أي مكسبه. والمحارف من هذا هو الذي حورف كسبه فميل به عنه أي ضيق عليه، وقال قوم المحارف المقتر عليه رزقه مأخوذ من المحراف وهو الميل الذي تسبر به الجراح(١٠).

هذا كلام ابن دريد في الجمهرة وقد أسقط ابن دريد التحريف وحرّف. مثلما أسقط التصحيف والصحفي.

قال الأزهري في مادة حرف:

حرف قال الليث الحرف من حروف الهجاء. وحرف السفينة جانب شقها، وقال الليث: التحريف في القرآن تغيير الكلمة عن معناها وهي قريبة الشبه، كما كانت اليهود تغير معاني التوراة بالاشباه، فوصفهم الله بفعلهم فقال: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ قال: وإذا مال إنسان عن شيء يقال: تحرف وانحرف واحرورف...[١١].

كلام الأزهري هو نفسه كلام الخليل؛ فقد خص التحريف بالقرآن، وتغيير الكلمة عن معناها - وليس صورتها -.

قال ابن فارس في مادة ح ر ف:

الحاء والراء والفاء ثلاثة أصول. حدّ الشيء، والعدول، وتقدير الشيء، فأما الحد فحرف كل شيء حدّه، ومنه الحرف، وهو الوجه. تقول: هو من أمره على حرف واحد، أي طريقة واحدة. ويقال للناقة حرف، قال قوم: هي الضامر، شبّهت بحرف السيف. وقال آخرون: بل هي الضخمة، شبّهت بحرف الجبل وهي جانبه. قال كعب بن زهير:

حرف أخوها أبوها من مهجّنة   وعمها خالها جرداء شمليل

والأصل الثاني: الانحراف عن الشيء، يقال انحرف عنه ينحرف انحرافاً. وحرّفته أنا عنه أي عدلت به عنه. ولذلك يقال محارف، وذلك إذا حورف كسبه فميل به عنه وذلك كتحريف الكلام، وهو عدله عن جهته قال الله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ (النساء من الآية ٤٦، والمائدة من الآية ١٣).

والأصل الثالث: المحراف: حديدة يقدر بها الجراحات عند العلاج. قال:

إذا الطبيب بمحرافيه عالجها   زادت على النّقر أو تحريكها ضجما

وزعم ناس أن المحارف من هذا، كأنه قدّر عليه رزقه كما تقدّر الجراحة بالمحراف. ومن هذا الباب فلان يحرف لعياله أي يكسب. وربما قالوا: أحرف فلان إحرافاً، إذا نما ماله وصلح، وفلان حريف فلان أي معامله، وكل ذلك من حرف واحترف[١٢].

هذا كلام ابن فارس، وقد ذكر للمادة ثلاثة أصول: حد الشيء، والعدول، وتقدير الشيء.

وما يخصنا هو الأصل الثاني «العدول» أي الانحراف عن الشيء، وذكر له صيغاً مثل انحرف وحرّفته، محارف ومن هذا الأصل «العدول» جاء تحريف الكلام، وهو عدله عن جهته.

إلا أن التعريف – وإن كان مغايراً لتعريف الخليل – ينقصه الدقة والتحديد. والملاحظ أيضاً ربط الكلمة بالتغيير في القرآن فحتى هذا الوقت ٣٩٥هـ كانت الكلمة مرتبطة بالقرآن فلم يتطرق أحد من السابقين على ابن فارس (كالخليل والأزهري) إلى التحريف بمعنى التغيير في الكلام.

الجوهري في مادة ح ر ف:

قال: حَرْفُ كُلِّ شَيْءٍ طَرَفُهُ وَشَفِيرُهُ وَحَدُّهُ ومنه حَرْفُ الجبلِ وهو أعلاه المحدد. والحرف واحد حروف التهجي وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ (سورة الحج، من الآية ١١) قالوا: على وجه واحد، والحرفُ الناقةُ الضامرةُ الصلبةُ، شُبِّهَتْ بحرف الجبل، وكان الأصمعي يقول: الحرف: الناقة المهزولة وقد أحرفت ناقتي إذا هزلتها، قال أبو زيد: أحرف الرجل فهو محرف إذا نما ماله وصلح ورجل محارف بفتح الراء أي محدود محروم، وقد حورف كسب فلان، إذا شدد عليه في معاشه، كأنه ميل برزقه عنه وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه «مَوْتُ المُؤْمِنِ بِعَرَقِ الجَبِينِ تبقى عليه البقية من الذنوب فيحارف بها عند الموت» أي يشدد عليه. والحُرف بالضم حب الرشاد، ومنه قيل: شيء حرّيف بالتشديد اللغوي يلدغ اللسان بحرافته وكذلك بصل حريف، والحرف أيضاً الاسم من قولك رجل محارف، أي منقوص الحظ لا ينمو له مال. وكذلك الحرفة بالكسر، وفي حديث عمر رضي الله عنه «لحرفة أحدهم أشد عليّ من عيلته» والحرفة أيضاً الصناعة. والمحترف: الصانع وفلان حريفي أي معاملي وحكى أبو عبيدة: حرفت الشيء عن وجهه حرفاً، والمحراف الميل الذي تقاس به الجراحات.

وتحريف الكلام عن مواضعه تغييره، وتحريف القلم: قطّه محرفاً ويقال: انحرف عنه وتحرف واحرورف أي مال وعدل.

وأول ملاحظة هي ظهور مشتق جديد له صلة بالتحريف هذا المشتق هو قطّ القلم محرفاً. وقد غاب هذا اللفظ عن السابقين، الخليل وابن دريد وابن فارس.

الملاحظة الثانية هي عدم ربط التحريف بالقرآن بل إن التحريف يرتبط بتغيير الكلام – عموماً – عن مواضعه، وإن كنا نفتقد تحديد نوع هذا التغيير وأشكاله.

المحكم لابن سيده – مادة ح ر ف:

أورد المشتقات المختلفة التي سبق الحديث عنها، ثم قال حرف عن الشيء يحرف حرفاً وانحرف وتحرف واحرورف عدل، وقلم محرف: عدل بأحد حرفيه على الآخر والتحريف في القرآن والكلمة: تغيير الحرف عن معناه وهي قريبة الشبه، والمحرّف الذي ذهب ماله[١٣].

هذا كلام ابن سيده، ولأول مرة نجد الفعل حرف يحرف بمعنى عدل، فالسابقون على ابن سيده ذكروا انحرف وتحرف واحرورف، ولم يذكروا حرفاً يحرف.

ولأول مرة نجد الصيغة «قلم محرّف»؛ أي عدل بأحد حرفيه على الآخر، ولأول مرة تظهر صيغة المحرّف بمعنى الذي ذهب ماله.

وقد أهمل ابن سيده بعض الصيغ والمشتقات مثل المحارف بمعنى المحروم المدبر، أو الذي حورف كسبه فميل به عنه أي ضيق عليه، وفلان يحرف لعياله أي يكسب أو أحرف فلان إحرافاً...

وإذا جئنا إلى معنى التحريف عنده وجدناه يتحرر من ربط التحريف بالقرآن فقط فيقول: التحريف في القرآن والكلمة، وإن كان المعنى عنده تغيير الحرف عن معناه.

الزمخشري في أساس البلاغة:

قال تحت مادة «حرف»[١٤]: انحرف عنه وتحرّف. وحرّف القلم، وقلم محرّف. وحرّف الكلام وكتب بحرف القلم وقعد على حرف السفينة، وقعدوا على حروفها.

وماليَ عنه محرف أي معدل. ورجل محارف: محدود. وحورف فلان، وأدركته حرفة الأدب، وتقول ما من حرف، إلا هو مقرون بحُرْف، وفلان حرفته الوِرَاقَةُ وهو يحترف بكذا، وهو يحرف لعياله: يكسب من ههنا وههنا، أي من كل حرف، وفلان حريفك وفيك حَرَافَةٌ: حِدَّةٌ، وَأَحَدُّ من الحُرْفِ، وهو الخردل والواحدة حرفة، وبصل حرّيف شديد الحرافة وحارف الجرح بالمِحْرَاف، قايسه بالمِسْبَارِ، حتى عرف حَدَّ غَوْرِهِ، ومن المجاز: هو على حرف من أمره، أي على طرف كالذي في طرف العسكر، إن رأى غلبة استقر، وإن رأى ميلة فر، وناقة حرف: شبيهة بحرف السيف في هزالها أو مضائها في السير.

وحارفت فلاناً بفعله كافأته، ولا تحارف أخاك بالسوء: لا تكافئْهُ واصفح عنه(١٥).

هذا كلام الزمخشري وقد ظهرت صيغة جديدة وهي حارفت فلاناً بفعله أي كافأته. أما بقية الصيغ الجديدة كحرّف القلم وتحرف فقد ظهرت عند ابن سيده، وقد أسقط الزمخشري الفعل احرورف، وفيما يخص تحريف الكلام فقد ذكر الزمخشري حرّف الكلام ولم يذكر معناه، وذكر «قلم محرف» ولم يذكر كذلك معناه.

الصاغاني ٦٥٠ هـ في كتابه التكملة والذيل والصلة:

قال: الحرف في اصطلاح النحاة: ما دل على معنى في غيره، وقيل في قوله صلى الله عليه وسلم: «نَزَلَ القُرْآنُ على سبعةِ أَحْرُفٍ، كُلُّهَا كَافٍ شَافٍ» يعني سبعَ لغاتٍ من لغات العرب.

وقال ابن الأعرابي: أحرف الرجل: إذا كدّ على عياله. ويقال: لا تحارف أخاك بالسوء، أي لا تجازه بسوء صنيعه تقايسه، وأحسن إن أساء واصفح عنه. وحرفان: بالضم من الأسماء الأعلام، وحرف الجبل يجمع جزقاً مثال عنب عن الفراء. قال: ومثله طلّ وطلل، ولم يسمع غيرهما(١٦).

والملاحظ على كلام الصاغاني أن الصيغة التي ظهرت عند سابقه «الزمخشري» قد ظهرت كذلك عنده بالمعنى نفسه. هذه الصيغة هي: لا تحارف أخاك

بالسوء. أما بالنسبة للتحريف فلم يذكر عنه شيئاً، ولم يذكر أي شيء من مشتقاته كحرف القلم أو الكلام....

لسان العرب لابن منظور – مادة ح ر ف:

قال بعد أن أورد المعاني التي سبق الحديث عنها: والتحريف في القرآن والكلمة تغيير الحرف عن معناه وهي قريبة الشبه، والمحرف الذي ذهب ماله...

والملاحظ أن كلامه مأخوذ من محكم ابن سيده بتمامه، فلم يقتصر على التحريف في القرآن، بل أضاف التحريف في الكلمة...

وقال الفيروزآبادي في مادة ح ر ف:

الحرف من كل شيء طرفه وشفيره وحده. ومن الجبل أعلاه المحدد قال الفراء ج حرف الجبل حِرَفٌ كعنب، ولا نظير له سوى طل وطلل، وواحد حروف التهجي، والناقةُ الضامرةُ أو المهزولةُ أو العظيمةُ ومسيلُ الماءِ، وآرام سود ببلاد سليم، وحرف لعياله يحرف كسب والشيء عن وجهه صرفه، وعينه حرفة كحلها، ومالي عنه محرف مصرف ومبتغى، وحرف في ماله بالضم حرفة ذهب منه شيء، والحرفة بالكسر الطعمة والصناعة يرتزق منها، وكل ما اشتغل الإنسان به وضري يسمى صنعة وحرفة، لأنه ينحرف إليها والتحريف: التغيير وقط القلم محرفاً واحرورف مال وعدل كانحرف وتحرف وحارفه بسوء جازاه.

هذا كلام الفيروزآبادي والملاحظ على كلامه ظهور معنى جديد لم يظهر عند السابقين كالحرف بمعنى مسيل الماء.

أما تعريف التحريف فقد اقتصر على قوله التغيير، ما صفة هذا التغيير؟ وما سببه؟ وهل هو خاص بالقرآن فقط أو عام بمعنى التغيير في الكلام عموماً؟

قال الزبيدي في مادة ح ر ف:

الحرف من كل شيء: طرفه وشفيره وحده، ومن تلك حرف الجبل وهو أعلاه المحدد وقال شمر: الحرف من الجبل ما تتأمن جنبه منه كهيئة الدكان الصغير أو

نحوه قال: والحرف أيضاً في أعلاه ترى له حرفاً دقيقاً، قال الفراء: ج حرف الجبل حرف كعنب والحرف واحد حروف التهجي، والحرف الناقة الضامرة الصلبة أو المهزولة أو هي العظيمة والحرف عند النحاة أي في اصطلاحهم ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، وفي المحكم الحرف الأداة التي تسمى الرابطة لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل... ورستاق حرف ناحية بالأنبار، وحرف الشيء ناحيته وفي الحديث: «نَزَلَ القُرْآنُ على سبعةِ أحرفٍ» قال أبو عبيدة: أي على سبع لغات من لغات العرب، وحرف لعياله يحرف من حد ضرب: أي كسب، وقال أبو عبيدة: حرف الشيء عن وجهه حرفاً صرفه، وقال غيره: حرف عينه حرفة بالفتح كحلها بالميل، ويقال مالي عنه مَحْرِف وكذلك مصرف بمعنى واحد، والمحتَرَف بفتح الراء موضع يحترف فيه الإنسان ويتقلب وتصرف، وقال اللحياني: حرُف في ماله - بالضم - أي كفي، حرفة - بالفتح - ذهب منه شيء.

والتحريف التغيير والتبديل ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ وقوله تعالى أيضاً: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾، وهو في القرآن والكلمة تغيير الحرف عن معناه والكلمة عن معناها وهي قريبة الشبه كما كانت اليهود تغير معاني التوراة بالأشباه... والتحريف قط القلم محرفاً يقال: قلم محرف إذا عدل بأحد حرفيه عن الآخر قال:

تَخَالُ أُذْنَيْهِ إذا تَحَرَّفَا ... خَافِيَةً أَوْ قَلَماً مُحَرَّفَا

ومما يستدرك عليه حرفا الرأس شقاه وحرف السفينة والنهر جانبها وجمع الحرْف أحْرُفٌ وجمع الحرفة بالكسر حرف، وحرف عن الشيء حرفاً مال، وانحرف مزاجه كحرف تحريفاً والتحريف التحريك. انتهى كلام الزبيدي وإذا كان الفيروزآبادي قد اكتفى بتعريف التحريف على أنه التغيير، فإن الزبيدي أضاف كلمة «التبديل»، ولا أدري ماذا يقصد بكلمة التبديل هل إذا بدلنا حرفاً مكان حرف وتغير معنى الكلمة إلى معنى آخر، هل يسمى هذا تحريفاً؟

والغريب أن أول من استشهد بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنۢ بَعْدِ مَا

عَقَلُوهُ﴾ هو الزبيدي ت ١٢٠٥هـ والسابقون كانوا يكتفون – تقليداً للخليل بذكر قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾.

المعجم الوسيط – مادة ح ر ف:

حرف عنه – حرفاً: مال وعدل، وحرّف الشيء أماله. يقال: حرّف القلم: قطّه محرفاً، وحرّف الكلام غيره وصرفه عن معانيه، وفي التنزيل: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾....

والملاحظ على هذا الكلام أنه اقتصر على حرّف الكلام بمعنى غيره وصرفه عن معانيه، وذكر الآية التي تناقلها أصحاب المعاجم بعد الخليل.

ولم يذكر لنا مثلاً كلمة محرّفة، والشخص الذي يقوم بالتحريف، وهل هذا التغيير بالنسبة لصورة الخط أو لحركته. وهل التصحيف والتحريف بمعنى واحد أو هما مختلفان، وهل للتحريف تعريف آخر أم لا....؟!

وبعد فهذه هي مادة «حرف» في المعاجم اللغوية من أول الخليل إلى العصر الحديث والملاحظ الآتي:

١ – تقارب المعنى الدلالي لكل مشتقات هذه المادة؛ فيمكن جمعها في ثلاثة أصول. حد الشيء، والعدول، وتقدير الشيء، هذا عكس مادة «صحف» حيث لاحظنا تباعدَ المعنى الدلاليَّ لهذه المادة.

٢ – أسقط بعض أصحاب المعاجم «التحريف» من كلامهم، فلم يشيروا من قريب أو بعيد إلى هذا المعنى.

٣ – بعض أصحاب المعاجم جعل التحريف خاصاً بالتغيير في القرآن، وبعضهم جعله في الكلام عموماً.

٤ – لم يذكر أصحاب المعاجم على اختلاف عصورهم معنى التحريف على نحو ما قرره ابن حجر ٨٥٢هـ بل ينحصر معنى التحريف في تغيير الكلام والعدول به عن جهته.

هوامش الفصل الأول

١ – الخليل بن أحمد، **العين**، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. القاهرة، دار الهلال، ج٢، ١٢٠.

٢ – ابن دريد، **جمهرة اللغة**، بيروت، ط دار صادر، ٢/١٦٢ بتصرف يسير.

٣ – الأزهري، **تهذيب اللغة**، تحقيق د. عبدالحليم النجار، مراجعة محمد علي النجار، ج٣/ ٢٥٥.

٤ – ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة** بتحقيق وضبط أ. عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ٣/ ٢٣٤.

٥ – إسماعيل بن حماد الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار.

٦ – ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة**، تحقيق مصطفى السقا، حسين نصار، ط البابي الحلبي، ١٩٥٨، ٣/١١٤، ١١٥.

٧ – الزمخشري، أساس البلاغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥، ج٢، ص٧.

٨ – الصاغاني، **التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق عبدالعليم الطحاوي وعبدالحميد حسن، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٤، ج٤/ ٥١٠.

٩ – الخليل بن أحمد، **العين**، ٣/ ٢١٠، ٢١١.

١٠ – ابن دريد، **جمهرة اللغة**، دار المعارف، مصر، ج٢/١٣٨.

١١ – الأزهري، **تهذيب اللغة**، تحقيق عبدالله درويش، ومحمد علي النجار، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ج٥/ ١٤.

١٢ – ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج٢/ ٤٢.

١٣ – ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج٣/ ٢٣٠.

١٤ – الزمخشري، أساس البلاغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠ (ح ر ف)، ج١/١٦٧-١٦٨ بتصرف.

١٥ – المصدر السابق، ص١٦٨.

١٦ – الصاغاني، التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، ٤/ ٤٥٠، ٤٥١.

الفصل الثاني

التصحيف والتحريف عند المفسرين والمحدّثين

- المبحث الأول: التصحيف والتحريف في كتب التفسير.
- المبحث الثاني: التصحيف والتحريف عند المحدّثين.

الفصل الثاني
التصحيف والتحريف عند المفسرين والمحدثين

المبحث الأول: التصحيف والتحريف في كتب التفسير

أولاً بالنسبة لكلمة تصحيف لم ترد في القرآن الكريم صيغة قريبة من معنى هذه الكلمة ولفظها، بل ورد ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ (الزخرف: ٧١)، ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ (الأعلى: ١٩)....(١).

أما بالنسبة لكلمة تحريف فقد وردت في القرآن صيغة متحرِّف في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾.... (الأنفال: ١٦)، وحرف في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ﴾ (الحج: ١١)، ويحرفون، وهي الصيغة الأقرب لفظاً ومعنى لكلمة تحريف وهي التي سنتناول معناها من خلال كتب التفسير وكتب الإعراب التي تهتم بالمعاني. وقد وردت هذه الصيغة في أربع آيات، وهي بحسب ترتيب المصحف:

١ – ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٧٥).

٢ – ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ (النساء: ٤٦).

٣ – ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (المائدة: ١٣).

٤ – ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ (المائدة: ٤١)(٢).

فإذا ذهبنا إلى كتب التفسير لمعرفة دلالة هذه المادة كما وردت في هذه الآيات وجدنا الآتي: بالنسبة للآية الأولى: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ لم يرد في معاني القرآن للأخفش ت٢١٥هـ أي شيء عنها. وفي تفسير الطبري ت٣١٠هـ، أورد

عدة تفسيرات ليحرفونه أقربها إلى معنى التحريف «يبدلون معناه وتأويله ويغيرونه، وأصله من انحراف الشيء عن جهته وهو ميله عنها إلى غيرها. فكذلك قوله يحرفونه، أي يميلونه عن وجهه ومعناه الذي هو معناه إلى غيره»[٣] فابن جرير يذكر أصل الكلمة انحراف الشيء عن جهته أي ميله عنها إلى غيرها، ثم يذكر معناه الدلالي في الآية يبدلون معناه ويغيرونه... وفي إعراب القرآن للنحاس لم يذكر أي شيء عن المادة وكذا في البيان في غريب إعراب القرآن للأنباري، وكذا في الكشاف ١/١٥٦، وفي البحر المحيط قال أبو حيان: «ثم يحرفونه التحريف الذي وقع، قيل في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم وصفوه بغير الوصف الذي هو عليه حتى لا تقوم عليهم به الحجة»[٤] فقد أورد أبو حيان معنى من المعاني التي ذكرها الطبري في تفسيره وهذا المعنى خاص بتفسير التحريف الذي وقع فيه اليهود....

الآية الثانية: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ لم يرد في معاني القرآن للأخفش شيء عنها وكذا في البيان وفي إعراب القرآن للنحاس قال: (ومعنى يحرفون: يتأولون على غير تأويله ونَمُّهُمْ اللّه – جَلَّ وَعَزَّ – بذلك لأنهم يفعلونه متعمدين)[٥] وفي تفسير الطبري: يبدلون معناها ويغيرونها عن تأويله[٦] وفي الكشاف: يميلونه عنها ويزيلونه لأنهم إذا بدلوه ووضعوا مكانه كلماً غيره فقد أمالوه عن مواضعه التي وضعها الله فيها وأزالوه عنها وذلك نحو تحريفهم «أسمر ربعة» عن موضعه في التوراة بوضع «آدم طوال» مكانه، ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم «الحد» بدله[٧].

فمعنى يحرفونه في الآية عند الزمخشري يبدلونه ويغيّرونه وإمالة الكلم عن موضعه وقد ذكر مثالين لتحريف اليهود في التوراة ومن المثالين يتضح أن التحريف عنده تبديل الكلم بكلم غيره ولا دخل للخط بهذا التبديل أو التغيير.

وقال أبو حيان في البحر المحيط: «فتحريف كَلِمِ التوراةِ بتغيير اللفظ، وهو الأقل لتحريفهم أسمر ربعة في صفته عليه السلام بآدم طوال مكانه، وتحريفهم الرجم بالحد بدله، وبتغيير التأويل وهو الأكثر قاله الطبري، وكانوا يتأولون التوراة بغير التأويل الذي تقتضيه معاني ألفاظها[٨].

فأبو حيان يذكر معنيين للتحريف، الأول تغيير اللفظ، الثاني نقله عن الطبري، وهو تغيير التأويل أي تأويل الكلام على غير ما هو له – دون تغيير اللفظ – وهذا المعنى قريب من قول المحدِّثين في حديث أن النبي صلى إلى عنزة، حين فسرها بعضهم فقال صلى النبي إلى قبيلتنا، فقالوا: هذا تحريف وإنما عنزة بمعنى حربة أو عصا، وليست القبيلة المعروفة.

الآية الثالثة: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا﴾... لم يرد في معاني القرآن للأخفش شيء عنها وكذا في البيان وفي إعراب النحاس «أي يتأولونه على غير تأويله[9] وهذا المعنى الثاني من معاني التحريف أي التغيير في المعنى دون اللفظ.

وفي تفسير الطبري «عن ابن عباس قوله ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ يعني حدود الله في التوراة[10]. وهذا المعنى الأول للتحريف أي تغيير اللفظ كتغييرهم الرجم إلى الحد....

وفي البحر المحيط قال أبو حيان: أي يغيرون ما شق عليهم من أحكامها كآية الرجم بَدَّلوها لرؤسائهم بالتحميم وهو تسويد الوجه بالفحم، وقالوا: التحريف بالتأويل لا بتغيير الألفاظ ولا قدرة لهم على تغييرها، وقال مقاتل: تحريفهم الكلم هو تغييرهم صفة الرسول أزالوها وكتبوا مكانها صفة أخرى فغيروا المعنى والألفاظ، والصحيح أن تحريف الكلم عن مواضعه هو التغيير في اللفظ والمعنى[11].

فأبو حيان يذكر المعنيين للتحريف؛ الأول: التأويل أي تغيير المعنى دون اللفظ، والثاني: تغيير اللفظ والمعنى وهو ما رجحه أبو حيان.

الآية الرابعة: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾... لم يرد في معاني القرآن للأخفش شيء عنها وكذا في البيان وكذا في إعراب النحاس، وفي تفسير الطبري «وكان تحريفهم – أي اليهود – ذلك تغييرَهم حكمَ اللهِ تعالى ذكرُهُ الذي أنزله في التوراة في المحصنات والمحصنين من الزناة.....».

وبعد فالتحريف عند المفسرين على المعنيين؛ الأولُ تغييرُ اللفظِ والمعنى كتغيير أسمر ربعة في صفة الرسول إلى آدم طوال، والثاني: تغيير المعنى دون اللفظ أو ما

يسمى التأويل، والواقع أن المفسرين اختلفوا في تفسير سبب نزول الآيات وهي من صفات اليهود فأخذوا يبحثون عما فعله اليهود، فمنهم من ذهب إلى أنهم غيروا أو بدلوا الألفاظ والمعاني في التوراة، ومنهم من ذهب إلى أنهم لا قدرة لهم على تغيير الألفاظ بل غيروا المعنى بسوء تأويلهم، والملاحظ كذلك غياب معنى التصحيف والتحريف على النحو الذي قرره ابن حجر عن المفسرين.

المبحث الثاني: التصحيف والتحريف عند المحدّثين

نتناول الآن التصحيف والتحريف عند المحدّثين في كتبهم، وهؤلاء المحدثون لم يجعلوا كتبهم خالصة للحديث عن التصحيف والتحريف بل تناولوا ذلك أثناء ذكرهم لأنواع الحديث المضطرب – المقلوب – المزيد... ثم المصحف أو المحرف.

ونحاول من خلال هذه الدراسة تعرف مفهوم هؤلاء المحدثين للتصحيف والتحريف... خصوصاً أن ابن حجر أول من فرق بين التصحيف والتحريف، فلم يجعلهما كعادة السابقين بمعنى واحد.

التصحيف والتحريف عند ابن الصلاح في مقدمته:

خصص ابن الصلاح النوع الخامس والثلاثين من أنواع الحديث لمعرفة المصحف من أسانيد الأحاديث ومتونها، وقد قسم ابن الصلاح التصحيف إلى عدة أقسام، وهناك تصحيف في الإسناد، وتصحيف في المتن، وهناك تصحيف البصر، وتصحيف السمع، وهناك تصحيف اللفظ وتصحيف المعنى دون اللفظ، وأول ملاحظة على هذه التقسيمات أنه لم يذكر التحريف، فكأن التصحيف عند ابن الصلاح بمعنى التحريف، والاثنان يعنيان التغيير – أي تغيير – حتى وإن كان تغيير المعنى دون اللفظ.

والملاحظة الثانية: أن ابن الصلاح حين قسم التصحيف إلى تصحيف اللفظ، وتصحيف المعنى دون اللفظ – متأثراً بكلام المفسرين على قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ حيث ذكر بعضهم أن اليهود غيروا التوراة لفظاً، وبعضهم ذهب إلى أنهم أوّلوها بسوء نية، إلا أن هذا كان كلامهم على التحريف وليس التصحيف كما فعل ابن الصلاح.

وبهذا يتضح أن التصحيف يطلق عند ابن الصلاح على:

١ - تغيير نقط الحرف، كتغيير مراجم بالراء المهملة والجيم إلى مزاحم بالزاء والحاء.

٢ - تغيير حركة الحرف، كتغيير أبي إلى أُبَيّ(١٢).

وهذان النوعان هما ما اصطلح عليهما كتعريف للتصحيف - أما الأمثلة الأخرى التي ذكرها ابن الصلاح على التصحيف فقد استقر الرأي بعد كلام ابن حجر على أنها تحريف كتغيير الزجاجة إلى الدجاجة، واحتجر إلى احتجم: بقيت ملاحظة أخيرة، وهي أن ابن الصلاح يتوسع في التصحيف ليشمل كل تغيير - حتى وإن لم تكن له صلة بطبيعة الخط - كتغيير المعنى دون اللفظ، حيث فهم أبو موسى العنزي أن الرسول صلى إلى قبيلتهم من حديث «روي أن النبي ﷺ صلى إلى عنزة»، وإنما العنزة: حربة تنصب بين يديه وليست القبيلة.

ومن توسعه أيضاً جعل التغيير الناتج من سوء الفهم تصحيفاً كتغيير خالد بن علقمة إلى مالك بن عرفطة(١٣).

التصحيف والتحريف عند «الحاكم» (٤٠٥هـ) في كتابه معرفة علوم الحديث:

يتحدث الحاكم عن التصحيف فيذكر أنه يقع في المتن، وفي الإسناد... ونذكر الآن الأمثلة التي ذكرها لنتبين مفهومه للتصحيف، حديث «يا أبا عُمَيْر ما فَعَلَ النُّغَيْرُ» صُحِّفَ إلى البعير، وحديث ادهنوا غبًّا صحف إلى اذهبوا عنا، وحديث لا تغطوا رأسه صُحِّفَ إلى وجهه، ومن التصحيف في الإسناد تصحيف شعبة إلى علقمة(١٤). من خلال هذه الأمثلة يتبين لنا أن الحاكم يطلق التصحيف على:

١ - التغيير في نقط الحروف كما حدث في النغير فصارت البعير.

٢ - التغيير الذي يقع نتيجة سوء الفهم كما حدث في تغيير الرأس إلى الوجه.

٣ - التغيير الذي يحدث بسبب اللبس، فالراوي التبس عليه شعبة فغيره إلى علقمة.

هذا ولا يمكن أن نعد النوعين الأخيرين تصحيفاً؛ لأن هذا التغيير لم يحدث بسبب الالتباس في الحروف المتشابهة كحمزة وجمرة مثلاً بل حدث بسبب أشياء أخرى خارجة عن طبيعة الخط العربي، وينبغي أن نقصر التصحيف على التغيير

الذي يحدث بسبب عدم التفرقة بين الحروف المتشابهة، أما أن يسمع الراوي شعبة فيظنها علقمة، أو رأسه فيلتبس عليه الأمر فيجعلها وجهه فهذا تقصير في حفظ الرواية لا دخل لطبيعة الخط العربي به.

التصحيف والتحريف عند ابن كثير (٧٧٤هـ) في كتابه الباعث الحثيث:

يقول ابن كثير: النوع الخامس والثلاثين – أي من أنواع الحديث – معرفة ضبط ألفاظ الحديث متناً وإسناداً، والاحتراز من التصحيف، فقد وقع من ذلك شيء كثير لجماعة من الحفاظ وغيرهم ممن ترسم بصناعة الحديث وليس منهم، وأكثر ما يقع ذلك لمن أخذ عن الصحف ولم يكن له شيخ حافظ يوقفه على ذلك ثم ذكر مثالين على التصحيف؛ الأول ما وقع في قول الرسول ﷺ: يا أبا عُمَيْر ما فَعَلَ النُّغَيْرُ»، فجُعِلَتْ «البعير» والآخر ما ورد في حديث صلاة في إثر صلاة كتاب في عليين قيل: كناز في غلس(١٥).

ولنا على كلام ابن كثير هذه الملاحظات:

أولاً: لم يذكر ابن كثير التحريف، ولم يذكر له أمثلة إلا أننا نستطيع أن نقول إنه كغيره من المحدثين السابقين على ابن حجر لا يرى فرقاً بين التصحيف والتحريف، بل الكلمتان عنده بمعنى واحد.

ثانياً: لم يذكر ابن كثير، الأنواع الأخرى في التصحيف التي ذكرها كثير من المحدثين، كالتصحيف الناتج من سوء الفهم، أو الناتج من الاضطراب في اسم ما، أو التصحيف المغير للمعنى دون تغيير اللفظ.

ثالثاً: جاء التصحيف – من خلال المثالين – بمعنى التغيير من حرف إلى حرف آخر كما حدث في كتاب حيث تغيرت الباء إلى زاي، وبمعنى تغيير نقط الحرف، حيث تغيرت التاء إلى نون، لتصبح الكلمة كناز.

التصحيف والتحريف عند ابن حجر (٨٥٢هـ) في كتابه نزهة النظر في شرح نخبة الفكر:

يتحدث ابن حجر عن المقلوب والمزيد والمضطرب من أنواع الحديث، ثم ينتقل إلى

الحديث عن المصحف والمحرف فيقول: إن كانت المخالفة بتغيير حرف أو حروف مع بقاء صورة الخط في السياق، فإن كان ذلك بالنسبة إلى النقط فالمصحف، وإن كان بالنسبة إلى الشكل فالمحرف[١٦] فابن حجر يفرق بين المصحف والمحرف، وهو أول من فرق بين هاتين الكلمتين، وقد نقلنا عن الحاكم وابن كثير وغيرهما أنهما بمعنى واحد.

فابن حجر يجعل التصحيف خاصاً بتغيير الحرف مع بقاء صورة الخط على ما هي عليه، كتغيير الباء إلى تاء أو تغيير الدال إلى ذال مثلاً... إلا أن ابن حجر ينقصه ذكر تغيير صورته، كتغيير أَبي إلى أُبَي، فهذا يعد تصحيفاً إلا أن كلام ابن حجر أخل به، وبهذا نكون قد جمعنا صور التغيير التي يمكن أن تحدث للكلمة؛ فإما أن يتغير نقط وإما حركة الحرف دون تغيير صورته وهذا هو التصحيف، وإما أن تتغير صورته وشكله وهذا هو التحريف.

فابن حجر ابتعد في تعريفه عن تقسيمات المحدّثين التي لا علاقة لها بالخط – كتصحيف السمع أو الناتج عن سوء الفهم أو تصحيف المعنى دون اللفظ – واتجه إلى التغييرات التي تحدث للخط، فقسم هذه التغييرات إلى تصحيفات وتحريفات.

التصحيف والتحريف عند السيوطي (٩١١هـ) في كتابه تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي:

ذكر السيوطي النوع الخامس والثلاثين من أنواع علوم الحديث وهو المصحف، ويكون تصحيف لفظ وبصر، في الإسناد والمتن وذكر مثالاً على التصحيف في الإسناد «العوام بن مراجم» بالراء والجيم، صحفه ابن معين فقاله بالزاي والحاء.

ومن الثاني – أي التصحيف في المتن – حديث زيد بن ثابت أن النبي ﷺ «احتجر في المسجد» أي اتخذ حجرة من حصير أو نحوه يصلي فيها، صحفه ابن لهيعة فقال: احتجم، ثم ذكر مثالاً على تصحيف السمع وهو تصحيف في السند، كحديث عن عاصم الأحول، رواه بعضهم فقال: عاصم الأحدب، ويكون التصحيف في المعنى، كقول محمد بن المثنى: «نحن من عنزة، صلى إلينا رسول الله ﷺ» يريد أن النبي ﷺ صلى إلى عنزة أي حربة تنصب بين يديه، فظنها قبيلته[١٧].

من خلال كلام السيوطي وأمثلته يتبين لنا أنه – كغيره من المحدثين يقسم التصحيف إلى أنواع، هذه الأنواع لا تمت بصلة إلى تغيير المهمل إلى معجم مثلاً أو تغيير النون إلى راء... بل جعل تغيير «عاصم الأحول إلى عاصم الأحدب» تصحيفاً، وجعل اللبس في فهم لفظة في الحديث تصحيفاً، كما في عنزة بمعنى حربة أو عصا، ظنها الراوي قبيلته، فسمى السيوطي هذا تحريفاً، وأرى أن هذا يبعد عن التصحيف كثيراً الذي ينبغي أن نقصره على التغيير بسبب مشابهة الخط، كأن تقرأ الدال ذالاً، أو التاء ياءً... أما التغيير بسبب سوء الفهم أو بسبب خطأ في السمع فينبغي أن يسمى وهماً أو تدليساً أو لحناً.

بقيت ملاحظة أخيرة، وهي أن السيوطي لم يتطرق إلى التحريف، فيذكر لنا تعريفه أو أنواعه، أو أمثلته بل سار – كغيره من المحدثين – يطلق التصحيف ويعني به أموراً كثيرة، منها التحريف، ومنها سوء الفهم، ومنها الغلط ومنها الخطأ في الإعراب.... وإن كانت قلة الأمثلة التي ذكرها تمنعنا من الجزم بذلك.

وعلى الرغم من أن الصورة قد اتضحت عند ابن حجر المتوفى ٨٥٢هـ فإنّ السيوطي تابع المحدّثين السابقين على ابن حجر، كابن الصلاح والحاكم، وابن كثير....

بعد أن انتهينا من الحديث عن التصحيف والتحريف عند المحدّثين، نجمل ما قلناه في التالي:

١ – اتسع مفهوم التصحيف والتحريف عند هؤلاء المحدّثين حيث لم يستخدم مصطلح التحريف – كما قلت سلفاً – غير ابن حجر. ليشمل كل تغيير يحدث في متن الحديث أو سنده، حتى إن أخطأ المحدّث فقال: عن الزهري عن سفيان الثوري، وسفيان أقدم من الزهري.

٢ – ومن أمثلة هذا التوسع في مفهوم التصحيف والتحريف تقسيمهم التصحيف إلى سمع، وبصر، وتصحيف لفظ دون معنى، وتصحيف معنى دون لفظ.

٣ – لم يفرق هؤلاء المحدّثون – غير ابن حجر – بين التصحيف والتحريف بل هما بمعنى واحد، وظلوا على ذلك حتى جاء ابن حجر ٨٥٢هـ، وفرق بين التصحيف والتحريف، فجعل التحريف خاصاً بتغيير حركة الحرف...

هوامش الفصل الثاني

١ – محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط دار الحديث.

٢ – الأخفش الأوسط، معاني القرآن، تحقيق عبدالأمير محمد أمين، بيروت جـ١/٢٧١.

٣ – ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق محمود شاكر وأحمد شاكر، مصر، ط دار المعارف، جـ٢/٢٤٨.

٤ – أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ط دار الفكر، ١٩٩٢، جـ١/٤٣٩.

٥ – النحاس، إعراب القرآن، تحقيق زهير غازي زاهد، بغداد، مطبعة العاني، جـ١/٤٢٢.

٦ – ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، جـ٨/٤٣٢.

٧ – الزمخشري، الكشاف، ط القاهرة ١٣٢٠هـ جـ١/١٥٦.

٨ – أبو حيان، البحر المحيط، جـ٢/٦٦١.

٩ – النحاس، إعراب القرآن، ١/٤٨٧.

١٠ – تفسير الطبري، ١٠/١٢٩.

١١ – أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، جـ ٢/٥٠٣.

١٢ – ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح، تحقيق عائشة عبدالرحمن، القاهرة، ١٩٧٦م، ص١١٥.

١٣ – المرجع السابق، ص١١٦ وما بعدها.

١٤ – الحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث، تعليق السيد معظم حسين المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٩٩٧م، ص: ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨.

١٥ – ابن كثير، الباعث الحثيث، شرح اختصار علوم الحديث، شرح أحمد محمد شاكر، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م، ص: ١٦٦، ١٦٧.

١٦ – ابن حجر، نزهة النظر في شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ص١١٠.

١٧ – السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق عبدالوهاب عبد اللطيف، دار إحياء السنة، ١٩٧٩م، جـ٢/١٩٣، ١٩٤.

الفصل الثالث

كتب اصطلاحات الفنون
وكتب التصحيف والتحريف

- المبحث الأول: التصحيف والتحريف في الكتب.
- المبحث الثاني: التصحيف والتحريف في الكتب المخصصة للحديث عنهما.

الفصل الثالث
كتب اصطلاحات الفنون وكتب التصحيف والتحريف

المبحث الأول: التصحيف والتحريف في الكتب

الراغب الأصفهاني (٥٠٣هـ) في معجم مفردات القرآن الكريم:

قال الراغب الأصفهاني: «وتحريف الشيء إمالته كتحريف القلم، وتحريف الكلام أن تجعله على حرف من الاحتمال يمكن حمله على الوجهين، قال الله عز وجل: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ وفي آية أخرى ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾[1] وقال عن التصحيف قراءة المصحف وروايته على غير ما هو له لاشتباه حروفه[2].

يتحدث الراغب الأصفهاني عن الأصل الدلالي لكلمتي التصحيف والتحريف في القرآن؛ فالتحريف أن تجعل الكلام على حرف من الاحتمال يمكن حمله على وجهين، وهذا الأصل الدلالي للكلمة بعيد كل البعد عن المعنى الذي قرره ابن حجر والذي يعني تغيير صورة الحرف في الكلمة....

أما عن التصحيف فقد خص الراغب الأصفهاني به قراءة المصحف وروايته على غير ما هو له... وما الحال في قراءة الحديث والشعر.... على غير ما هو له؟

وإذا كان بعض من عرفوا التصحيف جعلوه عاماً يشمل كل تغيير يحدث للكلام – أي كلام – فإن الراغب جعل تعريفه خاصاً بالقرآن فقط.

الجرجاني في كتابه التعريفات:

قال الجرجاني «التحريف تغيير اللفظ دون المعنى، والتصحيف تغيير اللفظ والمعنى معاً، وقيل: التصحيف أن يقرأ الشيء على خلاف ما أراده كاتبه أو على غير ما اصطلحوا عليه»[3].

وهذا تعريف جديد للجرجاني، وهو هنا متأثر بكلام المفسرين على معنى يحرفونه في قوله تعالى ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ حيث ذهب بعضهم

إلى أن التحريف تغيير اللفظ، وذهب بعضهم إلى أن التحريف تغيير المعنى دون اللفظ وهو ما يسمى التأويل قال أبو حيان في البحر المحيط: «فتحريف كلام التوراة بتغيير اللفظ، وهو الأقل، وبتغيير التأويل وهو الأكثر»(٤).

وممن ارتضى بتعريف الجرجاني للتحريف أبو البقاء، قال: «التصحيف تغيير اللفظ والمعنى، والتحريف تغيير اللفظ دون المعنى»(٥)، أما عن التعريف الثاني للتصحيف الذي ذكره الجرجاني فهو تعريف عام «أن يقرأ الشيء على خلاف ما أراده كاتبه...» ما طبيعة هذا الخلاف؟ هل هو خلاف في صورة الحروف، أو في حركة الحروف؟

كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي:

قال التهانوي عن التصحيف: «التصحيف عند المحدثين هو تغيير الحديث بتغيير النقط، قالوا: مخالفة الراوي للثقات إن كانت بتغيير الحرف أو بالحروف مع بقاء صورة الخط في السياق فإن كان ذلك بالنسبة إلى النقطة يسمى ذلك الحديث مصحفاً وإن كان بالنسبة إلى الشكل سمي محرفاً، وابن الصلاح وغيره سمى القسمين محرفاً»(٦).

وقال عن التحريف: «التحريف في اللغة هو تغيير الشيء عن موضعه، وفي اصطلاح المحدثين هو التصحيف أي تغيير الحديث، وقيل بالفرق بينهما»(٧).

ولنا على كلام التهانوي عدة ملاحظات:

أولها: ما نسبه إلى ابن الصلاح أنه سمى القسمين – أي التصحيف والتحريف – محرفاً قلت: بل سمى ابن الصلاح في مقدمته القسمين «مصحفاً»، ولم يجر على لسانه ذكر لكلمة تحريف، وقد تحدثنا عن ذلك عند الكلام على التصحيف والتحريف عند ابن الصلاح.

ثانيها: يجب أن نضيف إلى هذا كلام ابن حجر الذي ابتعد في تعريفه عن تقسيمات المحدثين التي لا علاقة لها بالخط، وتكلم عن تغيير الحرف - أو حركة الحرف مع بقاء صورة الخط في السياق... وبذلك يشمل التصحيف كل تغيير في الحرف، مع بقاء صورته في الخط كما هي، سواء أكان هذا التغيير بالنسبة إلى النقطة أم إلى الحرف.

ثالثها: توقعت وأنا أقلب صفحات هذا الكشاف أن أجد إشارة إلى التصحيف عند الأدباء والبلاغيين، بوصفه كتاباً في اصطلاحات الفنون، غير أنني لم أجد أي إشارة من قريب أو بعيد إلى التصحيف عند البلاغيين، وسأعرض لهذا المصطلح من خلال كتاب «العمدة» لابن رشيق القيرواني، فهو يتحدث عن التجنيس، فيقول: ومثله أنشد أبو عمرو بن العلاء:

عَـوْدٌ عـلـى عَـوْدٍ   عـلـى عَـوْدٍ خَـلِـق

وقال: الأول الشيخ والثاني: الجمل المسن، والثالث: الطريق القويم وقد ذلل بكثرة الوطء عليه، قال: ومن مليح هذا النوع قول ابن الرومي:

لِلسُّودِ فـي الـسُّـودِ آثَارٌ تُـرِكْـنَ بِـهَا   لَمْعاً مِنَ البِيضِ تُثْنِي أَعْيُنَ البِيضِ

قال: فالسود الأول: الليالي، والسود الآخر: شعرات الرأس واللحية، والبيض الأول: الشيبات، والبيض الآخر النساء، ثم ذكر من أنواع التجنيس نوعاً يسمى المضارعة، وهو على ضروب كثيرة: منها أن تَزِيدَ الحروفُ وتَنْقُصَ أو تتقدمَ وتتأخرَ، ومثل لذلك بقول الطائي:

بيضُ الصَّفائحِ في سُودِ الصَّحَائِفِ في   مُـتُـونِـهِـنَّ جِـلاءُ الـشَّـكِّ وَالـرِّيَـبِ

ومن أنواع المضارعة المضارعة بالتصحيف ونقص الحروف كقول بعضهم:

فَـإِنْ حَـلُّـوا فَـلَـيْـسَ لَـهُـمْ مَـقَـرٌّ   وَإِنْ رَحَـلُـوا فَـلَـيْـسَ لَـهُـمْ مَـفَـرُّ

فالمضارعة بالتصحيف بين مقر ومفر.

وقال البحتري:

وَلَـمْ يَكُنِ الْمُغْتَرُّ بِـاللَّـهِ إِنْ سَرَى   لِيُعْجِزَ وَالْـمُـعْـتَزُّ بِـالـلَّـهِ طَـالِـبُهْ

المضارعة بالتصحيف بين المغتر والمعتز.

وقال آخر:

مَـا بِـعَـيْـنِـي هَـذَا الْـغَـزَالُ الـغَـرِيـرُ   مِنْ فُـتُـونٍ مُـسْـتَـجْـلَبٍ مِنْ فُـتُـورِ

المضارعة بالتصحيف بين فتون وفتور... إلخ(٨).

أقول: كنا نتوقع أن نجد ولو إشارة لهذا المصطلح - التصحيف - عند البلاغيين، من قبل التهانوي، وكتابه مَعْنِيٌّ بمصطلحات الفنون!

المبحث الثاني: التصحيف والتحريف في الكتب المخصصة للحديث عنهما

المقدمة:

نتناول الآن الكتب التي تخصصت للحديث عن التصحيف والتحريف، فهي لم تشر إلى وقوع التصحيف في حديث أو بيت شعر، كشرح ابن السيرافي لأبيات سيبويه، الذي أشار في مواضع قليلة إلى وقوع التصحيف في رواية بيت.... إلخ، ولم تخصص فصلاً أو باباً للحديث عن التصحيف والتحريف ككتب علوم الحديث، بل تناولت التصحيف والتحريف على مدار الكتاب كله.

ومن المؤلفين الذين خصصوا كتبهم للحديث عن التصحيف والتحريف ووصلت إلينا مؤلفاتهم حمزة بن الحسن الأصفهاني ٣٦٠هـ في كتابه التنبيه على حدوث التصحيف، والعسكري ٣٨٢هـ في كتابه شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، وتصحيفات المحدثين والصفدي ٧٦٤هـ في كتابه تصحيح التصحيف وتحرير التحريف.

والغرض من دراسة هذه الكتب معرفة مفهوم التصحيف والتحريف عند مؤلفيها، وبمعنى آخر هل يفرقون بين التصحيف والتحريف؟ أو الكلمتان مترادفتان عندهم؟

وما صور التصحيف عندهم، هل اتسعت هذه الصور لتشمل كل تغيير حتى إن كان خارجاً عن طبيعة الخط كما فعل المحدثون؟ أو اقتصروا في هذا التغيير على ما هو من طبيعة الخط....؟

حمزة بن الحسن الأصفهاني (٣٦٠هـ) في كتابه «التنبيه على حدوث التصحيف»

بدأ الأصفهاني بتعريف التصحيف فقال: وأما قولهم: صحف فلان ما رواه، وجاء بالمصحف، فقد أجاب أهل المعاني في معناه، فقالوا: أما معنى قولهم التصحيف، فهو أن يقرأ الشيء بخلاف ما أراده كاتبه، وعلى غير ما اصطلح عليه في تسميته، وأما لفظ التصحيف، فإن أصله فيما زعموا أن قوماً أخذوا العلم عن الصحف من

غير أن يلقوا فيه العلماء، فكان يقع فيما يروونه التغيير، فيقال عندها قد صحفوا فيه أي رووه عن الصحف، ومصدره التصحيف ومفعوله مصحّف..... ولو سمي التصحيف تغييراً أو تبديلاً جاز[٩].

ثم انتقل للحديث عن طبيعة الخط التي تقتضي وقوع الكلمة على أكثر من صورة فالحروف «بيت» يدخلها التصحيف على أكثر من وجه فقد تكون ثبت أو بنت أو ثبت أو يثب أو.....

ثم انتقل للحديث عن تصحيفات العلماء ومن خلال الأمثلة التي ذكرها على مدار كتابه كله يمكننا أن نجزم بأن الأصفهاني يستخدم كلمة التصحيف، ويعني بها التغيير الذي يحدث في صورة الحرف، وأيضاً التغيير الذي يحدث في حركة الحرف، وبمعنى آخر لا يفرق بين التصحيف والتحريف، أي هما بمعنى واحد عنده، وهذا معنى قوله: أن يقرأ الشيء بخلاف ما أراده كاتبه.... إلخ، فهو يقول عن التغيير بين النَّسب، والنِّسب بأنه تصحيف[١٠]، ومن خلال هذا المثال يتضح أن الأصفهاني لا يفرق بين التصحيف والتحريف. أما عن صور التصحيف عند الأصفهاني فتشمل تغيير النقط في الحروف المتشابهة مثل الضخم أي السمين والصّحم للاحمرار في السواد[١١].

ويشمل التصحيف عنده أيضاً تغيير الحرف إلى حرف آخر، قال الأصفهاني: أنشد أبو الخطاب الأخفش أبا عمرو بن العلاء:

قَالَتْ قُتَيْلَةُ مَا لَهُ   قَدْ جُلِّلَتْ شَيْباً شَوَاتُه

فقال له أبو عمرو: صحّفت، إنما هو سراته.....[١٢].

كما يشمل التصحيف عنده تغيير أكثر من كلمة بنطقها على أنها كلمة واحدة، قال الأصفهاني: من تصحيفات أبي البيداء الرياحي أنه أنشد أبا عمرو بن العلاء:

فَتًى لا يَقُولُ المَوْتُ مِنْ حَرِّ وَقْعِهِ   لَكَ ابْنُكَ خُذْهُ لَيْسَ مِنْ شِيمَتِي دَعْنِي

فقال أبو عمرو: إنما هو قتالاً يقول الموت....[١٣] فقد حدث أكثر من تغيير في هذا المثال، فقد صحفت القاف إلى فاء، وصحفت حركتها في الوقت نفسه من الكسر إلى الفتح، وصحفت اللام والتنوين من «قتالاً» إلى لام وألف...

وهكذا يتضح لنا أن الأصفهاني يطلق التصحيف على كل تغيير يحدث في الكلمة، ويتضح لنا أيضاً أنه لم يشر من قريب أو بعيد إلى التحريف مما يجعلنا نجزم بأنه لا يفرق بين التغيير الذي يحدث في الكلمة هل هو خاص بصورة الحرف أو بحركة الحرف، وفي نهاية حديثه قال: ولو سمي التصحيف تغييراً أو تبديلاً جاز.... فهو إذن مطلقُ تغيير.

العسكري (٣٨٢هـ) من خلال كتابيه «شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف»، و«تصحيفات المحدّثين»:

هذان الكتابان من أقدم الكتب التي ألفت في هذا الفن وصاحبهما لم يخصص فصلاً أو باباً في كتابيه للحديث عن مفهوم التصحيف والتحريف، بل خصص الكتابين، كما هو واضح من اسميهما.

وقبل أن نذكر نصوصاً من الكتابين لنتعرف مفهوم التصحيف والتحريف عند العسكري، نذكر أن المرحوم الأستاذ عبدالسلام هارون صرح عند حديثه عن التصحيف والتحريف بأن بعض الأقدمين يفرقون بين مدلولي الكلمتين، يقول: «فالعسكري وهو من أقدم من ألف في هذا الفن يضع حداً فاصلاً بينهما»[١٤]: أي أن التصحيف والتحريف عند العسكري – بحسب كلام الأستاذ عبدالسلام هارون – متباينان، وقد بنى كلامه – رحمه الله – بناء على قول العسكري في مقدمة كتابه «شرحت في كتابي هذا الألفاظ والأسماء المشكلة، التي تتشابه في صورة الخط، فيقع فيها التصحيف، ويدخلها التحريف». أي أن العسكري فرّق بين التصحيف والتحريف.

وأقول إذا كان العسكري فرّقَ في المقدمة بين التصحيف والتحريف، فإنه استخدم في المقدمة أيضاً لفظ الغلط مقابلاً للفظ التصحيف، قال في المقدمة: "مما يعرض في ألفاظ اللغة والشعر، وفي أسماء الشعراء وأيام العرب... فيصحفها عامة الناس، ويغلط فيها بعض الخاصة"[١٥].

والحق أن العسكري – كغيره من الأقدمين – يخلط بين مدلول المصطلحات الآتية (التصحيف – التحريف – الوهم – الخطأ – الغلط – اللبس....).

فأحياناً يقول: ما وهم فيه الخليل، ولا نجد أمثلة هذا الوهم إلا تصحيفاً، وأحياناً يقول: ذكر أمثلة من تصحيفات الخليل في كتاب العين، ونجد بين هذه التصحيفات مثالاً أو أكثر يندرج ضمن مفهومنا للتحريف.

والدليل القاطع على عدم تفرقته بين التصحيف والتحريف ما نذكره كمثال على تصحيفات الخليل في كتاب العين فإنه جعل تغيير تقيأت بالقاف إلى تفيأت بالفاء تحريفاً(١٦) فتغيير القاف إلى فاء يعد تصحيفاً؛ لأن صورة الحرف لم تتغير بل كان التغيير في نقط القاف والفاء.

وليس الأمر وقفاً على حد الخلط بين التصحيف والتحريف، بل المصطلحات كلها متداخلة عند العسكري، فهو يستخدم الغلط أو الخطأ ويقصد التصحيف بالنقل، قال: «ومما يغلط فيه قوله ﷺ: «ولا ينفع ذا الجد منك الجد» فقوله الجدّ بفتح الجيم لا غير ومن رواه بكسر الجيم فقد أخطأ(١٧)، وهو تصحيف بالشكل.

فهو يستخدم في نص واحد الخطأ والغلط ويقصد التصحيف، أما مفهوم التصحيف عند العسكري فهو يعني به:

١ - تغيير الحرف من معجم إلى مهمل أو العكس، قال العسكري: «ومما وقع فيه التصحيف في حرف الغين من كتاب العين للخليل» يوم بغاث، وإنما هو بعاث بالعين غير المعجمة(١٨).

٢ - تغيير حركة الحرف دون تغيير صورته، قال العسكري: ومما يروى فيه تصحيف فاحش قولهم في خبر نقادة الأسدي أنه قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي رَجُلٌ مُغْفِلٌ فَأَيْنَ أَسِمُ... قال العسكري: فقوله «مغفل» الغين ساكنة، والفاء مكسورة، ومن رواه «مغفلاً» بالتشديد فهو فاحش من التصحيف، والمُغْفِلُ: الذي له إبل»(١٩).

وهذان النوعان هما نوعا التصحيف بحسب كلام ابن حجر إلا أن العسكري لم يكتف بذلك بل أضاف.

٣ – الخطأ من معنى الكلام، قال في باب تصحيفات لقوم شتى: حكى لي بعض شيوخنا عن برزج قال: كنت عند السندي في جماعة منهم ابنا تميلة، فأنشد في صفة الحمام:

فَإِذَا دَخَلْتُ سَمِعْتُ فِيهِ رَنَّةً   لَغَطُ المَعَاوِلِ فِي بُيُوتِ هِدَاءِ

فسئل عن المعاول، فقال: هي التي ينقر بها الصخر، فتركته في عمياء، ولم أنبهه عليه، وإنما المعاول وهداء حيان من الأزد[٢٠]، فالذي ظن أن المعاول هي التي ينقر بها الصخر سمي مصحفاً على رأي العسكري، وهذا قريب من التأويل الذي ذكره المفسرون في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ وقريب من قول المحدثين تصحيف المعنى دون اللفظ. وهذا بالطبع خارج عن معنى التصحيف المأخوذ من الخطأ في الصحيفة الناتج عن التباس الحروف بعضها ببعض.

٤ – ومن معاني التصحيف عند العسكري أيضاً ما يمكن أن يسمى بالالتباس، قال العسكري: وحدثنا أحمد، حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة عن قيس الخذّاء.... قال العسكري: صحف فيه، إنما هو قيس الجُزَامي، فقد التبس على الراوي قيس الجزامي بقيس الحذاء.

ونجمل ما قلنا عن مفهوم التصحيف والتحريف عند العسكري، فنقول: إن العسكري في كتابيه شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، وتصحيفات المحدثين – لم يفرق بين التصحيف والتحريف، وقد تداخلت معهما مصطلحات أخرى كالخطأ والغلط والوهم... ولا يخرج مفهوم العسكري لهذه المصطلحات إلا عن معنى الخطأ بوجه عام. سواء كان الخطأ في صورة الحرف أو في حركته أو في فهم معنى كلمة أو في إعراب وتوجيه لفظة أو نتيجة تدليس راوٍ أو التباس اسم باسم آخر.

الصفدي (٧٦٤هـ) في كتابه «تصحيح التصحيف وتحرير التحريف»

خصص الصفدي كتابه للحديث عن التصحيف والتحريف كما هو واضح من عنوان الكتاب، وقد اعتمد فيه على كتب العسكري، والأصفهاني في التنبيه على حدوث التصحيف، والزبيدي في لحن العوام...

ولنا ملاحظتان على هذا الكتاب: الملاحظة الأولى تداخل المصطلحات التي تدل على التغيير الذي يقع في الكلمة، فهو أحياناً يذكر التصحيف، وأحياناً يستبدل بذلك التحريف أو الوهم أو الخطأ أو اللحن أو الغلط... كل هذه المصطلحات بمعنى واحد عنده، يدل على تغير حدث في الكلمة سواء كان هذا التغير خاصاً بالحرف ونقطه، أم بحركة الحرف وشكله، أم في تراكيب الجمل، والخطأ في هذا التركيب أو دلالة بعض الكلمات على معايير معينة، أقول ذلك على الرغم من أن الصفدي عرف التصحيف في مقدمته بأنه التغيير الذي يتطرق إلى الحروف فيقرأ المهمل معجماً والمعجم مهملاً[٢١].

الملاحظة الثانية: أن الصفدي لم يقصر كتابه على النص على التصحيف والتحريف، بل هو أشبه بكتب مقاومة اللحن وتقويم اللسان، فهو يذكر الجملة ثم يقول: يمكن أن تصحف إلى كذا وكذا، وأحياناً يذكر آية من القرآن – لم يقع فيها تصحيف – فيذكر أن التصحيف يمكن أن يقع فيها كذا.... كل هذه الأمور أبعدت الكتاب عن التصحيف والتحريف، فهو كتاب يمكن أن يوصف بأنه لتحاشي التصحيف والتحريف، كما أراده المؤلف ونص عليه في عنوان الكتاب.

بعد أن انتهينا من الحديث عن التصحيف والتحريف في الكتب المخصصة لذلك نجمل ما قلناه في هذه السطور:

١ – اقتصر الأصفهاني على لفظة «تصحيف» وتشمل كل تغيير يحدث في الكلمة، أما العسكري والصفدي فقد استخدما التصحيف والتحريف، إلا أن هذين المصطلحين مترادفان عندهما فهما يستخدمان التصحيف بمعنى التحريف، والتحريف بمعنى التصحيف: أي أنهما لا يزيدان على الأصفهاني إلا في ذكر اللفظة فقط «تحريف» أما مدلول الكلمة فلم يتضح عندهما.

٢ – كما تداخلت عند العسكري والصفدي مصطلحات (الغلط – الوهم – الاضطراب – اللحن – الخطأ...) وكل هذه المصطلحات تعني التغيير الذي يحدث في الكلمة.

٣ – اتسع مفهوم التصحيف عند العسكري ليشمل الخطأ في تفسير الكلمة، وهذا بلا شك خارج عن طبيعة الخط.

هوامش الفصل الثالث

١ – الأصفهاني، **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق نديم مرعشلي، ط دار الفكر، ص: ١١٤.

٢ – المرجع السابق، ص: ٢٨٣.

٣ – الجرجاني، **التعريفات**، تحقيق وتعليق عبدالرحمن عميرة، عالم الكتب ١٩٨٧، ص: ٨٠.

٤ – أبو حيان، **البحر المحيط**، جـ٣/٦٦١ (باختصار).

٥ – أبو البقاء الكفوي، **الكليات**، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، دمشق، ١٩٧٤، ص١٢١.

٦ – التهانوي، **كشاف اصطلاحات الفنون**، تحقيق د. لطفي عبدالبديع، وعبدالنعيم محمد، وأمين الخولي. المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، جـ١/٧٧.

٧ – المرجع السابق، جـ ٤/٢٢٩.

٨ – ابن رشيق، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق محمد محيي الدين، ط دار الجيل، جـ١/٣٢٣ وما بعدها.

٩ – الأصفهاني، **التنبيه على حدوث التصحيف**، تحقيق محمد أسعد طلس، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٦٨، ص: ٢٦.

١٠ – المرجع السابق، ص ٣٠.

١١ – المرجع السابق، ص ٢٨.

١٢ – المرجع السابق، ص ٧٩.

١٣ – المرجع السابق، ص ٩٣.

١٤ – عبدالسلام هارون، **تحقيق النصوص ونشرها**، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٥٤، ص:٦٥.

١٥ – أبو أحمد العسكري، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، تحقيق عبدالعزيز أحمد، مطبعة الحلبي، ١٩٦٢، ص: ١.

١٦ – العسكري، تصحيفات المحدثين، تحقيق محمود ميرة، القاهرة، ١٩٨٢، جـ٢/٢٨٣.

١٧ – المرجع السابق، جـ١/٣٢٢.

١٨ – العسكري، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، ص: ٦١.

١٩ – العسكري، تصحيفات المحدثين، جـ١/٣٤٤.

٢٠ – المرجع السابق، جـ١/١٩٦.

٢١ – الصفدي، صلاح الدين، تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، تحقيق السيد الشرقاوي، ومراجعة رمضان عبدالتواب، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٩.

الفصل الرابع

التصحيف والتحريف عند اللغويين والأدباء والمحققين

- المبحث الأول: التصحيف والتحريف عند اللغويين والأدباء.
- المبحث الثاني: التصحيف والتحريف في كتب تحقيق النصوص.

الفصل الرابع
التصحيف والتحريف عند اللغويين والأدباء والمحققين

المبحث الأول: التصحيف والتحريف عند اللغويين والأدباء

ابن جني في الخصائص:

قبل الحديث عن التصحيف والتحريف عند ابن جني ينبغي أن نفرق بين التصحيف والتحريف، وبين الخطأ أو الغلط أو الوهم، فالذي يهمز مصائب، أو الذي يذهب إلى أن وزن «تَنُّور» تفعول، أو الذي يقول «غُمِّيَ عليه» بدل «أُغْمِيَ عليه» أو الذي يقول «زاء» بدلاً من «زاي».

كل هذا وأمثاله يسمى خطأ أو غلطاً أو وهماً، ولا يسمى تصحيفاً أو تحريفاً، أقول هذا لأن ابن جني خصص باباً في خصائصه بعنوان «باب في سقطات العلماء» ذكر فيه أمثلة كثيرة بعضها يدخل في باب التصحيف والتحريف[١]، وبعضها يدخل ضمن الخطأ أو الغلط أو الوهم.

ونأتي إلى الأمثلة التي ذكرها في التصحيف والتحريف، ويمكن تقسيم ذلك إلى:

١ – تغيير نقط الحرف، ومن أمثلته ما نقله ابن جني عن الأصمعي قال ناظرني المفضل عند عيسى بن جعفر فأنشد بيت أوس:

وَذَاتُ هِـدْمٍ عَـارٍ نَـوَاشِـرُهَـا ... تُصْمِتُ بِـالمَاءِ تَوْلَباً جَذِعَا

فقلت: – أي الأصمعي –: هذا تصحيف، لا يوصف التولب بالإجذاع، وإنما هو جدعا – بالدال وهو السيئ الغذاء[٢]، ومنه أيضاً ما قاله الأثرم علي بن المغيرة «مثقل استعان بدفيه» فقال يعقوب: هذا تصحيف، إنما هو مثقل استعان بذقنه[٣].

٢ – تغيير شكل الحرف، قال ابن جني: «وذكر النضر عند الأصمعي فقال: قد كان يجيئني وكان إذا أراد أن يقول الف قال: إلف[٤]، وهذان النوعان ما هو جرى الاتفاق على كونهما تصحيفاً[٥].

أما عن التحريف فلم يذكر ابن جني هذه اللفظة، وهذا دأب اللغويين والأدباء، وهم في هذا متأثرون بالمفسرين، وكما سنرى – بعد قليل – أن ابن الجوزي يهمل ذكر لفظة تحريف وقد وردت لديه أمثلة فيها تحريف وقال عنها «تصحيف».

وكذا فعل السيوطي في المزهر، ويبدو أن هذه سمة من سمات اللغويين – كابن جني في الخصائص، والسيوطي في المزهر، والأدباء كابن الجوزي في الحمقى والمغفلين.

ابن الجوزي (٥٩٧هـ) في كتابه «أخبار الحمقى والمغفلين».

من الذين عقدوا أبواباً في كتبهم للحديث عن التصحيف والتحريف ابن الجوزي ٥٩٧هـ في كتابه «أخبار الحمقى والمغفلين»؛ فقد خصص بابين للحديث عن التصحيف والتحريف، وهما الباب العاشر «في ذكر المغفلين من القراء والمصحفين» والباب الحادي عشر «في ذكر المغفلين من رواة الحديث والمصحفين».

ولم يذكر ابن الجوزي تعريفاً للتصحيف والتحريف، حتى نعرف إذا ما كان يفرق بين التصحيف والتحريف، أم هما مترادفان، وهل التصحيف عنده خاص بتغيير النقط في الحروف المتشابهة كالجيم والحاء مثلاً أو الخاص بتغيير شكل الحروف كتغيير النون إلى زاي مثلاً؟ إلا أننا استطعنا – من خلال الأمثلة التي ذكرها في البابين السابق ذكرهما – تعرف مفهومه للتصحيف والتحريف على النحو التالي:

١ – يطلق ابن الجوزي لفظ تصحيف على تغيير النقط في الحروف المتشابهة مثل تغيير قوله تعالى ﴿وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (نوح: ٢٣) إلى (وبشرا)، وتغيير قوله تعالى ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ (الأنفال: ٣٠) إلى أو (يجرحوك)، وتغيير قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (النحل: ٦٨) إلى «ومما يعرسون»، وتغيير سورة ٱلْمُدَّثِّر إلى «المدبر» بالباء(١).

٢ – ويطلق ابن الجوزي أيضاً لفظ تصحيف على تغيير صورة الحرف إلى صورة أخرى مثل تغيير الواو إلى راء في خوات التميمي حيث قيل فيه جراب

التميمي[٧]. وتغيير الراء إلى نون في قوله ﷺ: يُوشِكُ أنْ تَسيرَ الظَّعِينَةُ بِلَا خَفِيرٍ، فصحف فقيل فيه بلا خفين[٨].

إلا أنه ربما سمى هذا النوع غلطاً أو خطأً فقال عن تصحيف بقرة إلى بهرة إنه غلط، وقال عن تصحيف أَنَا أَشُجُّ وَأُدَاوِي إِلَى أَنْ أَسْحَرُ وَأُدَاوِي إنه خطأ. ويبدو أن ما يسميه ابن الجوزي غلطاً أو خطأً إنما يقصد به ما نحنيه بالتحريف، فالمثالان يقعان تحت باب التحريف على نحو ما قرره ابن حجر، فالألف حرفت إلى هاء، والجيم حرفت إلى راء.

٣ - ويطلق ابن الجوزي التصحيف أيضاً على تغيير حركة الحرف أو شكله، قال ابن الجوزي: وعن أبي عبدالله الشطيري قال: كان إبراهيمُ يقرأ على الأعمش فقال في قوله تعالى: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ (الشعراء: ٢٥) لمن حوله... وقال أيضاً: قرأ أبو أحمد العراقي على عبدالله بن أحمد بن حنبل قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ (سورة فاطر: ١٠) بكسر العين[٩] في «يرفعه»، ولما سئل عن ذلك قال: هكذا الوقف عليه[١٠].

وهكذا فابن الجوزي لا يفرق بين التصحيف والتحريف، بل يطلق التصحيف على كل تغيير أصاب الكلمة، وربما يكون مفهوم ابن الجوزي عن الغلط - وهو كما وضح من أمثلته تغيير صورة الحرف إلى صورة أخرى - هو مفهوم ابن حجر عن التحريف.

السيوطي (٩١١هـ) في كتابه المزهر:

بدأ السيوطي كلامه بقول المعري: «أصل التصحيف أن يأخذ الرجل اللفظ من قراءته في صحيفة ولم يكن سمعه من الرجال فيغيره عن الصواب وقد وقع فيه جماعة من الأجلاء من أئمة اللغة وأئمة الحديث...»[١١].

ولم يتطرق إلى «التحريف من قريب أو بعيد - شأنه في ذلك شأن أصحاب الحديث - وقد ذكرنا هذه الملاحظة عند الحديث عن كتابه تدريب الراوي.

ويبدو – من خلال الأمثلة التي ذكرها السيوطي – أنه لا يفرق بين التصحيف والتحريف، بل هما عنده مترادفان وقد وقع السيوطي في خلط شديد بينهما فهو يطلق كلمة تصحيف على التغييرات الآتية:

١ – تغيير النقطة في الحرف دون تغيير صورته، وهي الصورة التي أقرها ابن حجر العسقلاني، قال السيوطي في ذكر ما أخذ على كتاب العين من التصحيف وذكر – أي الخليل – في باب هزأ: هَزَأَهُ البردُ إذا أصابه في شدة، والصواب هرأه بالراء، والزاي تصحيف[١٢].

٢ – ويشمل التصحيف عنده أيضاً، تغيير صورة الحرف إلى صورة أخرى كالميم إلى هاء أو إلى لام.... وهذا ما استقر الرأي – بعد كلام ابن حجر – على أنه تحريف، قال السيوطي في ذكر ما أخذ على كتاب العين من التصحيف: الاختزال: الاحتزام بالثوب، وهو باللام غلط إنما هو الاحتزاك عن أبي عمرو الشيباني[١٣]، والحذال: شيء من السمن وهو غلط، والصواب شيء يخرج من السمر كالدم والعرب تسميه حيض السمر[١٤]. وهذا دليل على أن السيوطي يخلط بين التصحيف والتحريف، فهو يطلق التصحيف، ويعني به كل تغيير أياً كانت صورة هذا التغيير، وهذا من تأثره بالمحدثين وقد كان منهم، وخلاصة الكلام أن السيوطي جاءت نظرته إلى التصحيف نظرة عامة – كشأن كثير من المحدثين – فهو يطلق التصحيف على كل تغيير، ولا يفرق بين تصحيف وتحريف... وبعد، فهذا مفهوم اللغويين والأدباء عن التصحيف والتحريف، فهم أولاً لا يذكرون التحريف، وإن وجدت أمثلة بها تحريف يدرجونها ضمن التصحيف وأحياناً يسمون هذا التغيير غلطاً أو خطأً وهذا الغلط أو الخطأ ما هو إلا تحريف بحسب كلام ابن حجر.

وقد توسع ابن جني والسيوطي في ذكر أمثلة التصحيف فجعلا الخطأ في القواعد النحوية أو الصرفية تصحيفاً، وكذا الخطأ في معنى كلمة أو مثلها من الفعل.... إلخ.

المبحث الثاني: التصحيف والتحريف في كتب تحقيق النصوص

عبدالسلام هارون في كتابه تحقيق النصوص ونشرها.

وهذا هو أول كتاب عربي يظهر في هذا الفن كما قال مؤلفه رحمه الله، وقد بدأ حديثه عن التصحيف والتحريف ببيان أن بعض الأقدمين يفرقون بين مدلولي الكلمتين كالعسكري وابن حجر، إلا أن السيوطي لم يفصل بين الكلمتين فصلاً دقيقاً، ثم ذكر رحمه الله أن من أنواع التصحيف والتحريف ما يكون نتاجاً لخطأ السمع لا خطأ القراءة، وضرب مثالاً على ذلك «كأن يملي كلمة ثابت» فيسمعها الكاتب ويكتبها نابت...[١٥]، ومنه – أي من أنواع التصحيف والتحريف – ما يكون من خطأ في الفهم ومثل لذلك بقول السيوطي «حديث الزهري عن سفيان الثوري» قال: وهو خطأ غريب، فإن الزهري أقدم كثيراً من الثوري ولم يذكر أحد أنه روى عنه[١٦]. ولنا على كلام الأستاذ عبدالسلام هارون ملاحظة وهي جعله من أنواع التصحيف والتحريف التصحيف نتيجة الخطأ في السمع، وكذا نتيجة الخطأ في الفهم، وهذا في رأيي لا يمت إلى التصحيف والتحريف بصلة، فالمفترض أن يكون التصحيف أو التحريف ناتجاً عن خطأ في القراءة، هذا الخطأ نتيجة طبيعة الخط العربي حيث تتشابه حروف كالباء والتاء والثاء... لكن أن يلتبس على السيوطي مثلاً اسمان فيذكر اسماً ونبحث في كتب الرجال فلا نجد هذا الشخص يروي عن ذاك، فهذا لا دخل للخط فيه، فينبغي ألا يسمى تصحيفاً أو تحريفاً، بل يسمى «وهماً – التبس عليه الأمر – خطأ أشكل عليه – غلط...».

أما عن مفهوم التحريف عنده، فيتضح من خلال النماذج التي ذكرها لتحريفات ظهرت للمؤلف أثناء تحقيقاته، أنه يقصد به تغيير الحرف إلى حرف آخر، إلا أنه خلط في بعض النماذج بين التصحيف والتحريف فقد جعل «احتراز المودة» محرفة عن اجترار المودة، هذا تصحيف واضح؛ فقد صحفت الجيم إلى حاء، والراء إلى زاي.

ومن النماذج أيضاً لهذا الخلط بين التصحيف والتحريف جعله الحِيَافَة والجَزْوَ محرفة عن العِيَافَةِ والحَزْوِ وكذا جعل النُّمُور والبُيُور محرفة عن النمور والبيور[١٧].

د. نوري حمودي القيسي ود. سامي مكي العاني في كتابهما «منهج تحقيق النصوص ونشرها»:

بدأ الأستاذان بذكر تعريف القدماء للتصحيف وهو أن يقرأ الشيء بخلاف ما أراد كاتبه وعلى غير ما اصطلح عليه في تسميته.... ثم ذكرا الكتب التي اهتمت بالكلام على هذا الفن، ثم صرَّحا - كعادة القدماء والمحدثين - بأن التصحيف قد يقع بسبب السماع «ومن الجائز أن يقع بعضها بسبب تقارب مخارج حروفها، وتشابه ألفاظها، ويقع هذا إسماعاً لا قراءة»[١٨]، وقد جعلا من أسباب التصحيف خطأ السمع... وفي هذا متابعة واضحة للمحدثين، فقد توسعوا - رحمهم الله - في أنواع التصحيف والتحريف رغبة منهم في الحفاظ على ألفاظ الحديث الشريف أن يصيبها أي تغيير، لكن أن نجعل تشابه مخارج الحروف سبباً في حدوث التصحيف والتحريف فهذا بعيد إلى حد ما عن المعنى الوضعي والدلالي للتصحيف والتحريف وهما في هذا متابعان للأستاذ هارون، الذي ذكر ذلك متابعة لأهل الحديث.

د. عبدالمجيد دياب في كتابه «تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره»:

كعادة المحدثين - ومن تابعهم - جعل الأستاذ عبدالمجيد دياب من أنواع التصحيف تصحيف السمع، بل ذكر المثال نفسه الذي مَثَّل به المحدثون دون تغيير، فهم يمثلون لتصحيف السمع بتغيير «عاصم الأحول» إلى عاصم الأحدَب.

وقد ذكرنا رأينا في ذلك عند الكلام على التصحيف والتحريف عند المحدثين[١٩]، وكذا عند الأستاذ عبدالسلام هارون ومن تابعه.

د. رمضان عبدالتواب في كتابه «مناهج تحقيق التراث بين القدماء والمحدثين»:

بدأ الدكتور رمضان عبدالتواب - رحمه الله - كلامه بذكر رأي العلماء في العصر الحاضر عن التصحيف والتحريف، ثم ذكر أن الكلمتين مترادفتان عند القدماء ثم انتقل إلى الحديث عن أسباب التصحيف والتحريف فذكر أن ذلك قد يكون ناتجاً من خطأ في السماع... أو خطأ في الفهم ومثل لذلك بتصحيف الجاحظ «عثمان البتّي» إلى عن النبي، ثم جعل مكان النبي الرسول.....

وأرى أن هذا في الأساس مرجعه إلى تصحيف النظر كما يقولون لا سوء الفهم، فالتشابه واضح بين البتي والنبي، فالخطأ في الأساس مردوده إلى طبيعة الخط، وهذا ما يجب أن نجعله الأساس في وقوع التصحيف والتحريف، دون ذكر أنواع خارجة عن طبيعة الخط العربي.

د. محمود محمد الطناحي في كتابه «مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي»:

أنهى الدكتور الطناحي كتابه بمحاضرة عن التصحيف والتحريف بدأها بتعريف التصحيف بأنه تغيير في نقط الحروف أو حركاتها، مع بقاء صورة الخط[٢٠].

والخلاف في هذا التعريف في قوله «أو حركاتها» فقد جعل بعض الأقدمين تغيير حركة الحرف – دون تغيير صورته – تحريفاً وليس تصحيفاً، إلا أن الدكتور الطناحي – رحمه الله – أصاب في جعله تغيير حركة الحرف تصحيفاً وليس تحريفاً ليصبح كل تغيير يصيب الحرف ولا يغير صورته تصحيفاً، سواء أكان هذا التغيير في النقط أم في حركة الحرف ما دام الحرف لم تتغير صورته، وبذلك يصبح التحريف كل تغيير في صورة أو شكل الحرف وقد غابت هذه الزيادة عن كثير من المحدثين؛ فالدكتور رمضان عبدالتواب يعرف التصحيف بأنه تغيير في نقط الحروف المتماثلة بالشكل[٢١] فيجعل التغيير خاصاً بالنقط فقط والتحريف تغيير في شكل – أي صورة الحروف – إذن فإلى أي من الاثنين ينتمي تغيير حركة الحرف كتصحيف الأصمعي يجلى إلى بجلى – مثلاً –....

أما التحريف فقد ذكر الدكتور الطناحي بأنه العدول بالشيء عن جهته، وقد يكون بالزيادة في الكلام أو النقص منه، وقد يكون بتبديل بعض كلماته، وقد يكون بحمله على غير المراد منه، وملاحظتنا على هذا التعريف تتركز على قوله: «وقد يكون بحمله على غير المراد منه»، وهذا ما أطلق عليه المفسرون التأويل، وأرى أن هذا لا صلة له بالتحريف – كتغيير في الخط – أما التأويل فهو أن يذكر معنى غير مراد فهو

تفسير من ضمن تفسيرات كثيرة ذكرها المفسرون لقوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾، وهذا ما يسمى بعبارة أخرى تغيير المعنى دون اللفظ.

وبعد أن انتهينا من الحديث عن مفهوم المحدثين للتصحيف والتحريف نجمل ما قلناه في الآتي:

١ – تأثر كثير من هؤلاء المحدثين بتقسيمات المحدثين للتصحيف حين قسموه إلى تصحيف في الإسناد وتصحيف في المتن، وتصحيف سمع وتصحيف بصر....

٢ – ارتضى كثير منهم بالتفرقة بين التصحيف والتحريف وأنهما ليسا مترادفين بل هما متغايران.

٣ – وعلى هذا يكون التصحيف خاصاً بتغيير نقط أو حركة الحرف دون تغيير صورته، والتحريف خاص بتغيير صورة الحرف.

هوامش الفصل الرابع

١ – لاحظ أن ابن جني لم يجر على لسانه ذكر التحريف – رغم ورود الأمثلة – بل نص كثيراً على أن هذا من باب التصحيف.

٢ – ابن جني، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٣/٣٠٦.

٣ – المرجع السابق، ٣/٣٠٨.

٤ – المرجع السابق، ٣/٢٩٢.

٥ – محمود الطناحي، **مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي**، القاهرة، ١٩٨٢، ص:٢٨٦.

٦ – ابن الجوزي، **أخبار الحمقى والمغفلين**، دمشق، مطبعة التوفيق، ص: ٥٢، ٥٣، ٥٤.

٧ – المرجع السابق، ص: ٨٥.

٨ – المرجع السابق، ص: ٦١.

٩ – المقصود عين الفعل في وزنه (يقطه).

١٠ – ابن الجوزي، **أخبار الحمقى والمغفلين**، ص: ٥٦.

١١ – السيوطي، **المزهر في اللغة**، تعليق محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، أبي الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، جـ ٢/٣٥٣.

١٢ – **المزهر**، ٢/٢٨٥، علماً بأن الزمخشري ذكرها في باب (هزأ) بالزاي **«أساس البلاغة»** هزأ.

١٣ – المرجع السابق، جـ ٢/٢٨٣.

١٤ – المرجع السابق، جـ ٢/٢٨٤.

١٥ – عبدالسلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الخانجي، ١٩٥٤م، ص: ٥٢.

١٦ – المرجع السابق، ص: ٥٢.

١٧ – المرجع السابق، ص: ٥٧.

١٨ – د. نوري حمودي القيسي ود. سامي مكي العاني، منهج تحقيق النصوص ونشرها، ص: ١١١.

١٩ – ص: ٤٩، ٥٠ من البحث.

٢٠ – محمود الطناحي، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، القاهرة، ١٩٨٢، ص: ٢٨٦.

٢١ – رمضان عبدالتواب، مناهج تحقيق التراث بين القدماء والمحدثين، القاهرة، ١٩٨٢، ص: ١٢٤.

الخاتمة

لقد أوضحت هذه الدراسة أن بين التصحيف والتحريف صلة كبيرة، مما جعل بعض العلماء يجمعون بينهما في مؤلف واحد كأبي أحمد العسكري. غير أن هناك كثيراً من العلماء قد فرق بينهما فأفرد كلاً منهما بمؤلف كحمزة الأصفهاني. وقد بدا أن العلماء قد وضعوا أفضل الآراء لعلاج ظاهرة التصحيف والتحريف ومنها: ضبط الكتابة العربية بالنقط والشكل، وضرورة المشافهة في رواية اللغة، وتنقية الأخطاء بجمعها في مؤلفات، وضبط العبارات بوصف الحروف. وقد أظهرت الدراسة من خلال تتبع مادة (صحف) في المعاجم العربية ما يلي:

- أن المعاجم العربية لم تحدد نوع الخطأ الذي يؤدي إلى التصحيف، كما أنها اكتفت بتعريف التصحيف بأنه الخطأ في الصحيفة أو اللغة أو التغيير إلى خطأ.
- وقد أغفل بعضهم تعريف التصحيف، وأسقط بعضهم لفظ المصحف كما حدث في المعجم الوسيط. إضافة إلى قلة المعاني لهذه المادة لديهم، وذلك بخلاف ما فعله ابن حجر إذ فرق بين التصحيف والتحريف.
- وقد وضح للباحثة من خلال تتبعها لمادة (حرف) في المعاجم العربية قديمها وحديثها أن هناك تقارباً دلالياً لكل مشتقات هذه المادة، وقد جعل بعض أصحاب المعاجم التحريف خاصاً بالتغيير في القرآن، وجعله آخرون عاماً في الكلام.
- وقد بينت الدراسة أن التحريف عند المفسرين يَرِدُ في كتبهم على معنيين، الأول: تغيير اللفظ والمعنى، والثاني: تغيير المعنى دون اللفظ، وهو ما يسمى بالتأويل.

وقد تبين من خلال تتبع هذين المصطلحين في بيئة المحدثين أن هناك اتساعاً لمفهوم التصحيف والتحريف عندهم ما عدا ابن حجر، فقد قسموا التصحيف إلى سمعي وبصري، وتصحيف لفظ دون معنى وتصحيف معنى دون لفظ. أما ابن حجر فقد فرق بينهما، فجعل التحريف خاصاً بتغيير حركة الحرف. أما التصحيف

والتحريف في كتب اصطلاحات الفنون فقد اختلفوا في استعمالاته، فالراغب في مفرداته يتحدث عن التحريف والتصحيف من خلال حديثه عن الأصل الدلالي لهما في القرآن الكريم.

أما الجرجاني فقد تأثر بأقوال المفسرين في عرضه لمصطلحي التحريف والتصحيف. وتبين أن التهانوي تتبع جميع التعريفات الواردة لهما في بيئة اللغويين والمحدثين والمفسرين؛ وذلك لطبيعة كتابه.

وقد ظهر أن هناك اختلافاً بين مصطلحي التصحيف والتحريف لدى كثير من مؤلفي الكتب المتخصصة في هذا الفن. أما في العصر الحديث فقد كان كتاب تحقيق النصوص ونشرها للأستاذ عبدالسلام هارون هو أول كتاب عربي يظهر في هذا الفن. وقد تبين بعد هذا التتبع تأثر كثير من هؤلاء المحدثين بتقسيمات المحدثين للتصحيف حين قسموه إلى تصحيف في الإسناد وتصحيف في المتن وتصحيف سمع وتصحيف بصر وارتضى آخرون التفريق بين التصحيف والتحريف.

المصادر

١ – الأخفش الأوسط، معاني القرآن، تحقيق عبدالأمير محمد أمين، بيروت.

٢ – الأزهري، تهذيب اللغة جـ٥ تحقيق د. عبدالله درويش، أ. محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٣ – الأصفهاني، حمزة بن الحسن، التنبيه على حدوث التصحيف، تحقيق محمد أسعد طلس، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٦٨م.

٤ – الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق د. طه عبدالحميد طه، مراجعة الأستاذ مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

٥ – التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق د. لطفي عبدالبديع، وعبدالنعيم محمد، وأمين الخولي، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة.

٦ – الجرجاني، الشريف علي بن عبدالعزيز، التعريفات، تحقيق وتعليق د. عبدالرحمن عميرة، عالم الكتب، ١٩٨٧م.

٧ – ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م.

٨ – ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، دمشق، مطبعة التوفيق.

٩ – الجوهري، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، بيروت، ١٩٨٤م.

١٠ – الحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث، تعليق د. السيد معظم حسين، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، ١٩٩٧م.

١١ – ابن حجر العسقلاني، نزهة النظر في شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز.

١٢ – أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ط دار الفكر، ١٩٩٢م.

١٣ – الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

١٤ – ابن دريد، جمهرة اللغة، بيروت، ط. نسخة مصورة عن طبعة الهند ١٣٤٤-١٣٥٢هـ، دار صادر.

١٥ – الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق نديم مرعشلي، ط دار الفكر.

١٦ – ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين، ط دار الجيل.

١٧ – رمضان عبدالتواب، مناهج تحقيق التراث بين القدماء والمحدثين، القاهرة، ١٩٨٢م.

١٨ – الزبيدي، محب الدين، تاج العروس في شرح القاموس، ط دار الفكر.

١٩ – الزمخشري، محمود بن عمر «جار الله»:

– أساس البلاغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

– الكشاف، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٢٢٠هـ.

٢٠ – سامي مكي العاني وآخر، منهج تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٩م.

٢١ – السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم، ١٩٨٦م.

٢٢ – ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تحقيق مصطفى السقا، وحسين نصار، ط البابي الحلبي، ١٩٥٨م.

٢٣ – السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن:

– تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، دار إحياء السنة، ١٩٧٩م.

– المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تعليق محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبي الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث.

٢٤ – الصاغاني، التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق عبدالعليم الطحاوي وعبدالحميد حسن، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٤م.

٢٥ – الصفدي، صلاح الدين، تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، تحقيق السيد الشرقاوي، مراجعة د. رمضان عبدالتواب، ١٩٨٧م.

٢٦ – ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح، تحقيق الدكتورة عائشة عبدالرحمن «بنت الشاطئ»، القاهرة، ١٩٧٦م.

٢٧ – الطبري، ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق محمود محمد شاكر، أحمد محمد شاكر، ط دار المعارف بمصر.

٢٨ – الطناحي، محمود محمد، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، القاهرة، ١٩٨٢م.

٢٩ – عبدالسلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الخانجي، ١٩٥٤م.

٣٠ – عبدالمجيد دياب، تحقيق التراث العربي ومنهجه وتطوره، دار المعارف.

٣١ – العسكري، أبو أحمد:

– أخبار المصحفين، تحقيق إبراهيم صالح، دمشق، ١٩٩٥م.

– تصحيفات المحدثين، تحقيق محمود ميرة، القاهرة، ١٩٨٢م.

– شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، تحقيق عبدالعزيز أحمد، مطبعة الحلبي، ١٩٦٣م.

٣٢ – ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٣٣ – الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ط دار الجيل.

٣٤ – ابن كثير، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، شرحه أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.

٣٥ – الكفوي، أبو البقاء، الكليات، تحقيق د. عدنان درويش، ومحمد المصري، دمشق، ١٩٧٤م.

٣٦ – مجمع اللغة العربية بمصر، المعجم الوسيط.

٣٧ – محمد عيد، في اللغة ودراستها، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٤م.

٣٨ – محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط دار الحديث.

٣٩ – ابن منظور المصري، لسان العرب، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٤٠ – النحاس، أبو جعفر، إعراب القرآن، تحقيق د. زهير غازي زاهد، بغداد، مطبعة العاني.